
رواية
في
تلك الليلة
وائل لاشين
ساحر الكتب

في تلك الليلة





info@darak-eg.com



02 010-24832669 27251915



51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.



في تلك الليلة

وائل لاشين

تصميم الغلاف: أسامة علام

رقم الإيداع: 11496/2018

الترقيم الدولي: 978-977-6634-08-4

الطبعة الأولى: 2018

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:



www.sekoon.com



وائل لاشين

في تلك الليلة

رواية





الوحدة..

الوحدة تجعلك تُمارس الأشياء بالطريقةِ الأصعب، والأبطء، فالوحدة صنيعة الفراغ، وقت زائد عن حاجتك..

كُلنا وحيدون لكن هناك من يُدرك تلك الحقيقة وهناك من لا تسمح له ساقية الحياة بإدراكها أو حتى الإنتباه لها، يقولون أن الهدف من إغماض عيني الثور هو ألا يشعر بقرب المسافة التي يدور في فلكها فيتوقف، لكن الأقرب هو ألا يدرك أمر وحدته فينقطع شغفه، ويهمد سعيه..

متى بدأ الأمر؟

هو لا يتذكر تحديدًا متى !

لكنه حدث تلك الليلة

* * *

في تلك الليلة..

شارعٌ بمنطقة العباسية العتيقة، العاشرة مساءً، إحدى ليالي شهر مارس، انهمرت الأمطار تغسل الموجودات جميعهن، انعكس ضوء المصابيح الصفراء على السيارات المغسولة لينزلق على الأسفلت فيصنع ظلالًا مُتشابكة، بينما يَصدر صوت الشيخ رفعت صادحًا بالقرآن من أحد المحال المغلقة التي آثر صاحبها إقفالها حيث لا بيع ولا شراء، لم يتبقَّ سوى تلك القهوة التي حَرص صبيُّها على جمع مقاعدها ومناضدها الخشبية في الداخل وممارسة مهامه في صمت ملبيًا نداءات زبائنها المعتادة دون ضجرٍ أو تعبٍ، يتلقى الطلب فيصيح بمساعده مكررًا إياه:

واحد شاي سكر برة يا ابني لفلان بيه..

ولعة للباشا

واحد حمص بالليمون والكموون للأستاااااااذ...

شابان يرتديان زِيًا موحدًا يبدو أنّهما يعملان بالسوبر ماركت الكبير بالميدان الرئيسي، يقضيان ساعة راحتهما في تناول شطائر الفول والطعمية ثم احتساء أكبر عدد ممكن من أكواب الشاي الداكن بالنعناع في محاولة -فاشلة بالطبع- لتحفيز خلايا المخ على البقاء منتبهًا أطول قدر ممكن من الوقت..

بآلية معتادة يرفعُ الصبي الأكواب الفارغة ويستبدلها بأكواب مياه مثلجة رغم برودة الجو، ثم يهبط عليهما بالطاولة ليستكملا هدنة العمل في التباري بينهما على صاحب أعلى صوت لرقع أقراصها العاجية وإيقاظ الأموات، بينما ترثي أم كلثوم حالها

ليلي ونهاري.. فكري بيك مشغول

وحياتي لك وحدك ولك على طول

تتقلص أعداد الحاضرين فيجلس الصبي لالتقاط الأنفاس متابعًا مباراة لدوري أبطال أوروبا ثم تنزلق عيناه أسفل الشاشة لتستقر على وجه ذلك الشاب



الجالس في ثُباتٍ ينظُر للفراغ وبجانبه كوب قهوة جفّ منذ زمن، وآخر يحتوي على ملليمترات من الماء المتبقي، شاب اعتاد الجلوس يوميًا في نفس المكان، يبدو في أوائل الأربعينيات شعره أسود متفحم تتخلله بعض الشعيرات البيضاء تتهدل على جبهته لتكاد تلامس نظارة بلا إطار تجثم على عينين لامعتي السواد تحيطان بأنف متناسق ينتهي بشارب مُتصل بلحية كثيفة أضفت على وجهه وقارًا، يرتدي قميصًا تُرِك مفتوحًا حتى صدره، وبنطال قماش أسود، وحذاءً لامعًا.

يدنو منه الصبي بابتسامة ودودة وهو يرفع الأكواب الفارغة:

تؤمر بحاجة تانية يا أُستاذنا؟

انتبه له، بادله الابتسامة:

شكرًا..

وبينما يدسّ يده في جيبه ليُنقده ورقة مالية، يعاجله الصبي:

ما تخلّي..

فيلوّح بيده شاكرًا، يُخرج الصبي عدة أوراق نقدية مُكرمشة ويناوله الباقي، يلتقطها متعمدًا إفلات جنيهين كبقشيشٍ، يستدير لينصرف فيستوقفه الصبي:

حضرتك ماجِتش إمبارح ليه؟

يندهش الشاب من التساؤل فيفسر الصبي:

مش عوايدك يعني، بتشرفنا كل يوم بقالك فترة.. يا ترى في حاجة ضايقتك مننا؟

لا أبدًا.. كنت في الشغل بس ورجعت متأخر.

هو حضرتك بتشتغل إيه؟

هو انت اسمك إيه؟



رمضان يا باشا..

ممم، أنا دكتور، دكتور نَفسي.

يرفع يده بالتحية بابتسامة واسعة:

أهلًا وسهلًا يا دكتور، ياريت تشرّفنا كل يوم.

إن شاء اللّٰه..

وانصرف..

أنا لما حبيتك خطر على بالي.. اللي جرالي واللي راح يجرالي

يصعد آسر درجات السّلم المُظلم دائمًا في تؤدةٍ وهو يتحسس موضع قدمه حتى يصل للطابق الثالث ثم يُخرج سلسلة مفاتيحه وهو يجرب أحدهم تلو الآخر، وأثناء ذلك تسقط السلسلة لينحني وهو يمسح بكفه الأرض بحثًا عنها، يلمح بطرف عينيه الضوء النافذ أسفل باب الشقة المجاورة يقطعه خيال لقدم أحدهم

تتحرك في تتابعٍ، تهدأ الحركة ثم تستكين تمامًا ويليها صوت يُشبه حفيف الأشجار، كمن يمسح بيده باب الشقة من الداخل، حفيف منتظم بمتتاليةٍ عدديةٍ تزداد سرعتها تدريجيًّا، يقترب آسر من الباب لاستبيان الأمر فينقطع الصوت..

تتسع حدقتا عينيه بفعل الظلام..

يدنو من الباب..

يلصق أذنه مرهفًا السمع فتلتقط صوت أنفاس..

يضغط رأسه أكثر بجدار الباب يكاد يسمع نبض قلبه..

صوت الأنفاس يعلو رويدًا رويدًا..

ظلام

سكون

صوت حشرجة مكتومة.. ثم..



تنطلق صرخة مدوية من الداخل ليفزع آسر عائدًا لشقته ويقفز المفتاح الصحيح داخل الكالون وكأنه فزع هو الآخر، وفي أقل من الخمس ثوانٍ يكون قد أُغلِقَ بابه وأُوصِدَ مزلاجه خلفه.

يجلس في الصالة على أقرب مقعد ليلتقط أنفاسه ثم يقوم بارتداء ملابس النوم ولا ينسى ضبط منبه هاتفه لإيقاظه صباحًا، يدلُف إلى غرفته، يدير تلفازة على قناة المجد للقرآن الكريم وينزلق أسفل فراشه ويغط في نومٍ عميق...



الثالثة فجرًا..

صرخة مدوية مع طرق صاحب على باب الشقة هبّ آسر على أثرهما فزعًا ليتحسس وجهه بحثًا عن نظارته فلا يجدها، يدس يده أسفل وسادته ليخرجها ويرتديها ويقفز على الأرض عاري القدمين ويغادر حجرته، يقف خلف الباب متأهبًا وجلًا وبصوت متحشرج حاول إخراجه صارمًا:

مين؟!

يدنو من الباب يحاول فتح الشراعة الزجاجية المنقرشة فيلمح في الظلام شيئًا مرق مسرعًا ثم صوت إغلاق باب.

صباح اليوم التالي..

يفتح عينيه ببطء، يؤلمه الضوء المتسلل من بين خصاص النافذة، يرتكز على رسغه الأيمن، يلتقط هاتفه بيده الأخرى، ينظر الى التوقيت بعيون حافية..



التاسعة والنصف..

تبًا

سيُجازى بالتأكيد..

تأخر عن ميعاد استيقاظه اليومي من جرّاء أرق البارحة، منذ أن سَكن تلك البناية قبل شهرين وهو يجد صعوبة في تنظيم حياته كما كانت من قبل، هبّ نشطًا يركض الى الحمَّام حافي القدمين، قذف وجهه بالماء، خلّل خُصلات شعره بأصابعه على عجلٍ، ارتدى ملابسه، قفز داخل حذائه انتشل هاتفه ثم غادر مسرعًا، لا داعي لاستخدام المصعد، ليس لديه ترف الوقت لكن ها هو ذا المصعد يقف في انتظاره، يقفز داخله فتُصدر أرضيته الخشبية أنينًا، يجذب بابه الحديدي المتآكل ثم يطوي ضلفتي بابه الخشبى الداخلي الذي يغلق للخارج شأن جميع المصاعد القديمة، يضغط الزر وهو يتخيل رد فعل مديره المباشر بالمستشفى..



حتمًا سيوبخه على تأخيره

لماذا لم يتحرك المصعد اللعين

صوت امرأة تصيح بالخارج

أعمل إيه؟ أعمل إيه يا ربي؟!

يُفتح المصعد مرة أخرى لتدخل امرأة في حالة فزع، ينسى آسر أمر تأخره ويتابعها باهتمام، امرأة محجبة تبدو في منتصف الثلاثينيات، أنف مارن دقيق، حاجبان حادان مرسومان بدقة تخالهما جناحي طائر محلق، فم رقيق مبتسم رغم التوتر طُلي بالأحمر، قصيرة ذلك القصر الذي لا تلحظه سوى بالاقتراب، تحرك المصعد أخيرًا فاهتزت، لاحظ نظرتها المترددة فسأل:

أقدر أساعدك بأي حاجة؟

وصل المصعد ففتحت الأبواب وغادرت مسرعة ثم توقفت والتفتت إليه:

ممكن توصلني لمدرسة ابني بسرعة علشان فيه مشكلة؟

شعر أن في الأمر خطبًا ما..

وأدرك أن ردَّ فعل مديره سيتجاوز التوبيخ بالتأكيد.

في سيارة «إلنترا» كحلية اللون تبلغ من العمر الخمس سنواتٍ تتراكم أتربةٌ داخلها في كل اتجاه وتداري مقاعدها زجاجات مياه بلاستيكية فارغة وأوراق وتقارير طبية ومواد إعلانية - تلك التي تُبتَلى بها إجباريًّا أثناء قيادتك- جلست الأم جوار آسر ولم تتخلص من حالة التوتر بعد، بينما تحول الأخير من حالة القلق تجاه رد فعل رئيسه المباشر ليستبدلها بحالةٍ من القلق تجاه تلك المرأة الجالسة جواره، لم يَقدِر على رفضِ طلبها أو حتى الاعتذار بأدبٍ، لا يدري إن كان بداعي الخوف أم الإعجاب، سألها عن عنوان المدرسة فأخبرته بتفصيلٍ مرتعشٍ، المسافة بين العباسية ومدينة نصر حيث مدرسة الابن لا تستغرِقُ أكثرَ من عشرين دقيقة، لكن في طُرق القاهرة الأمر



يختلف، حسابات أخرى تتعلق بإشارات المرور وسيارات المسئولين ومشاجرات السائقين وتحميل الميكروباصات لزبائنها، الخلاصة: استغرق الطريق ما يقرب الساعة، وكانت كافيةً لتَقِص الأم مآساتها وكأنها وجدت قِسّ الاعتراف خاصتها.

أول ما لفت انتباهه ل (كارما) اسم الأم كما عرفَه لاحقًا أناقتُها، فبرغم الموقف الذي يبدو صعبًا فقد حرصَت على اختيار ملابسها بعناية وتناسق، ترتدي بدلةً نسائيةً سوداءَ وبلوزةً ورديةً، وحذاءً أسودَ بكعبٍ حاول إنقاذ قِصرها الملحوظ، جلست بجانبه مُلتصقة القدمين تحتضن بكفيها حقيبةً نسائيةً مطرزةً سوداءَ أيضًا، مسلطة العينين صوبَ الطريق دون التفاتة، انطلق في الهروب من الشوارع الرئيسية لأخرى جانبية في محاولة لاختصار الوقت، لكن لم يسلم في النهاية من الإشارات المعطّلة، قذف بأسطوانة لمجموعةٍ موسيقيةٍ مُجمعَّةٍ ولمحها بطرفِ عينيه وقد ارتخت ملامح وجهها قليلًا ليبادرها بالتساؤل:

خير إن شاء اللّه!!

ترددت قليلًا قبل أن تُخبِرَه بأن ابنها «آدم» قد تعرَّض للمتاعب اليوم في المدرسة وأنه قد تم استدعاؤها تليفونيًا للحضور على وجه السرعة، هزّ رأسه في انتظار الإفصاح عن نوعية تلك المتاعب لكنّها اكتفت بما قالته واكتفى هو أيضًا، انتزعَ سيجارةً من العلبة ودسَّها في فمه، وقبل أن يُشعِلَها أشار لها بما يعني:

(تسمحيلي أدخَّن؟)

فأشارت بما يعني:

(وانا مالي، يكش تولع)

بعد فترة صمت سألته عن مهنته، ولما عرفت امتهانه الطب النفسي، بدا عليها الاهتمام، ثم بدأت تتخلى عن تحفُّظِها تدريجيًا لتخبره بحماسٍ:

إنت ربنا بعتك ليا من السما.

كان يود أن يخبرها أن مديره سيرسله إليها مرة أخرى لكن الموقف بم يكن يحتمل، بدأت في سرد قصة

حياتها منذ أن تخرجت في كلية الآداب جامعة عين شمس حتى تزوجت زميلها بعد قصة حب عنيفة دامت لأكثر من الأربع سنوات، لكن يشاء القدير أن يبتليهما بتأخُّر الإنجاب لأكثر من أربع سنوات، عكِفا خلالهم على استشارة العديد من خبراء الإنجاب حيث اختلفت آراؤهم حول السبب واجتمعوا على الحيرة..

وما البديل؟

لمَ لا نطرق باب التلقيح الصناعي؟

رفض الأب الفكرة في البداية لكن..

من يصمد أمام إلحاح النساء؟

وما المانع في ظل وفرة المال خاصة وأن الزوج لديه شركة استيراد وتصدير كان يَملُكُها والده قبل أن يرثه..

وبالفعل، أجرت عملية التلقيح بإحدى المستشفيات المتخصصة في ذلك المجال وتلقوا اتصالًا بعد فحص



أول عينة للدم تبشِّرُهم:

- ألف مبروك.

أخيرًا وبعد تسعة أشهر تمت عملية الوضع بنجاحٍ، ليرزقهما الله بتوأمين؛ نوح وآدم، كانت جميع المؤشرات تُشيرُ الى صعوبةِ صمودِهما في الحياة، لكن مرَّتْ الأيامُ والسنون لتُخالفَ توقعاتهما، كَبِرا سويًا أمام أنظار أبويهما وتبددت أحزان الأمس تمامًا وكانت الأمور على مايرام، إلى أن...

توفى نوح منذ عامٍ -وكان في سنِّ التاسعة- جرَّاء هبوطٍ حادٍ في الدورة الدموية أثناء اللعب مع أخيه، سحقَ الأمرُ قلبَ أبويه خاصةً الوالد الذي لم يستطع الصمود أكثرَ من شهرٍ ليلحق بولدِه، حملت الأم لقب أرملة وأحزان ومسئوليات، كانت أصغرها تربية طفل يتيم الأب والأخ.

أما عن آدم فكان طفلًا مختلفًا تمامًا، هادئ الطباع حتى إنه كان لا يشكو من مرضٍ قَطّ، بخلاف أخيه،

وكان أكثر ما يلفت انتباه أبيه دومًا، أمران، أولهما أنه لم يكن يبكي قَطّ.

وهنا توقفت عن الحكي فقد وصلا أمام المدرسة، صف آسر سيارته أسفل شجرة ضخمة وأثناء عبورهما للباب الحديدي الضخم سألها:

طب والأمر التاني؟

نظرت إليه في تردد:

أرجوك لو لفت انتباهك أي شيء غريب في آدم ماتحرجهوش وتتعامل مع الأمر طبيعي.

بوابة حديدية ضخمة كُتب أعلاها بحروفٍ إنجليزية ما ترجمَتُه (مدرسة الربوة للغات) على جانبها الأيمن يقف رجل أمنٍ بزِيه المميز يحمل بيده جهاز لاسلكيّ ما إن رآها بادرها بالسؤال:

حضرتك والدة الطالب آدم عدنان المرصفي؟!



أومأت برأسها فألصق الجهاز بفمه:

والدته وصلت يا افندم..

عاجله الطرف الآخر:

دخّلها على مكتب المديرة.

اصطحبهما فردُ الأمن بعد أن أوصى زميلًا له بمتابعة مهامه لحين عودته، عبروا رُدهةً فارهةً ينطلق بجوانبها صوتُ عزفٍ موسيقيٍّ صادر عن إحدى الغرف الجانبية يقترن بغناء أطفال، حتى توقف الرجل عند حجرة زجاجية كُتب عليها «المدير».

طرق بهدوء قبل أن يَفتح البابَ ويدلُف، بدا الاهتمام على ملامح سيدة المكتب وهي تتطلع لوجه كارما بينما تقترب وكأنها لا تملك صبرًا حتى تصل إليها، صافحتهما وهي تُطلِقُ سهام نظراتها المتسائلة إليهما لتقرأ كارما استفسارها الصامت وتجيب:

خال آدم.



أومأت السيدة برأسها تفهمًا قبل أن تضغط أحد الأزرار وتطلب استدعاء الابن، سيدة تبدو على مشارف الخمسين ترتدي نظارةً طبيةً، ينسابُ شعرها الناعم القصير فوق رأسها حتى يكاد يلامس حاجبيها العريضين، ترتدي فستانًا قصيرًا لا بُدَّ وأنه انحصر عن قدميها حين جلست، أمسكت بقلمها وهي توجِّهُ كلامها إلى الأم الذي بدا حاسمًا ومقتضبًا.

حالة آدم كُل مدى بتسوء عن الأول، النهارده الموقف وصل لمرحلة Risky جدًّا بما لا يدع مجال للانتظار أكتر من كده..

سكتت هنيهة ثم استطردت:

-إدارة المدرسة اجتمعت وأصدرت قرار بمنح آدم أجازة استثنائية حتى استقرار حالته النفسية، ومش محتاجة أقولك إن البديل الأوحد لقبول الأجازة دي هي النقل لمدرسة تانية، فمفيش قدامك غير القبول، أنا بعتذرلك جدًّا على الكلام ده، بس احنا في نقاش

لأكثر من ثلاث ساعات بنحاول إيجاد حلول تانية لكن دون جدوى.

التفتت كارما إلى آسر بنظرة يأسٍ مستسلمةٍ كمَن تطلب الدعم، هنا تدخَّل موجهًا حديثه للسيدة:

ممكن أعرف آدم عمل إيه؟

خلعت عن وجهِها نظارتها ثم شرعت تحكي...

كان آدم يجلس وحيدًا كالمعتاد في آخر مقعدٍ بالحجرة الدراسية، بينما انهمكت معلمة مادة العلوم أو (السواينس) كما تُحتِّم قوانين نطق المصطلحات بالمدرسة في شرح درس اليوم عن نباتات تجذب الحشرات الطائرة، تسأل ويرفع أغلب التلاميذ أياديهم لاقتناص فرصة للإجابة وإظهار تفوقهم، عدا آدم، ينظر إلى اللوحة البيضاء المزدحمة بالمصطلحات والأسماء، من خلال نظارته السوداء التي اعتاد على ارتدائها في صمتٍ وكأنه ينتظر انتهاء الدرس الممل، توزِّعُ المعلمةُ عبارات التشجيع على طلابها بالتساوي حتى زاغت



عيناها لتستقرَّ على وجه آدم، فترفع يدها اليسرى لتأمُرَ الجميع بالصمت، وبسبابتها اليمنى تشير لآدم:

آدم.. لماذا تحط الحشرة على نبات التنين الأحمر؟

ما إن نطقت اسمه حتى ساد الصمت أركانَ الفصل وتوجهت سهام النظرات صوبَه حيث لم يُحرِّكْ ساكنًا، التفت عن يمينه مهمهِمًا لثوانٍ يُحادث الفراغ ثم نظر للمعلمة وبآلية خرج صوته حادًا منتظمًا.

تَحُط الحشرة على نبات التنين الأحمر بسبب ألوانه الزاهية معتقدةً أنها ستعثر على غذاء وما إن تستقر في منتصفة حتى...

ثم أطبق كفيه على بعضهما بعنفٍ ضاغطًا على أسنانه في تلذُّذٍ مستطردًا:

تطبق جزئيها المفتوحين عليها حتى تموت ثم يبدأ النبات في عصرها تمامًا قبل هضمها..

أنهى جملته والتفت يمينًا مرة أخرى (شكرًا).



ظلَّ الجميع بما فيهم المعلِّمة في ثُبات وكأن الزمنَ توقف تمامًا، ثم اقتربت منه وبتوجس سألته:

- إنت كنت بتكلم مين؟

نظر إليها متعجبًا:

- نوح أخويا.

دارت مغادرة الفصل لتأمره بمرافقتها إلى مكتب مديرة المدرسة.

صوتُ نقرٍ على الباب قطع الحديث، ليدخل آدم ولم يزل مرتديًا نظارته السوداء وما إن رأى أمّه حتى انطلق ليستقر في حضنها مُخْفيًا وجهه لتسقط نظارته أرضًا ويلتفت منحنيًا لالتقاطها مرتبكًا وهنا...

لمحت وجهه لأول مرة..

ملامح وجهه طبيعية تمامًا باستثناء تفصيلة صغيرة..

لديه عين سوداء والأخرى زرقاء..



في طريق العودة لم تكف كارما عن البكاءِ المكتوم، ولم يجرؤ آسر على طلب الاستزادة في التفاصيل، لكن الأمر يبدو قديمًا ومتشعبًا، وأن حادثة اليوم لم تكن الأولى، خلف هذا الطفل قصة حتمًا لا بُدَّ أن يعرفها بحكم طبيعة عمله الشغوفة..

لكن كيف ومتى؟

وصلوا للبناية العتيقة التي تجمعهم، استقلوا المصعد، ضغط آسر زِر الطابق المشترك، نظر للأم المكلومة بحثًا عن كلماتٍ تواسيها كمقدمةٍ لفضوله وتمهيدٍ لأسئلتة المطنّة داخل رأسه كالنحل، لكن الموقف أخرسه تمامًا، صافحته شاكرة بمجرد أن توقف المصعد في الدور الثالث، وبينما تولج مفتاحها في الباب استدارت تشكره بامتنانٍ حقيقيٍّ:

أستاذ آسر.. ياريت تقبل دعوتي على العشا.

انفرجت أساريره وتلاعبت برأسه خيالاتٌ ذكوريةٌ (حول دعوة امرأة لرجل على العشاء) سريعًا ما تبددت



فور قولها:

وبالمرة تتعرف على بابا.



في المساء..

ارتدى من الملابس أنظفها، ثم سكبَ لترًا من العطر فوق رقبته، تصلّب أمام مرآة كبيرة مثبتة على الحائطِ من قبل انتقاله، طالع وجهَه وهو يهندم ياقة قميصه، هذَّب لحيتَه بالمشط، أشار بإبهامه علامة الاستعداد، ارتدى نظارته ثم غادر مسرعًا.

طرقَ الباب المقابلَ لشقته ثمّ تذكَّرَ أمرًا هامًا، كيف له أن ينسى ابتياع زيارة – كما يطلقونَ على الهدية في بلده - لتقديمها لمستضيفينه؟

شعر بالإحراج وفكّرَ في النزول سريعًا قبل استجابة أحدهم، لكن فُتح الباب بالفعل لتظهر كارما بابتسامة هادئة.

إمتى الزمان يسمح يا جميل

وأسهر معاك على شط النيل

قادته للصالة..



منزل مُرتبٌ أنيقٌ، نظيفٌ، إضاءةٌ خافتةٌ، رائحةُ بخورٍ بلا أثرٍ، جرامافون لا يعمل بالتأكيد لكنه يضفي على ذلك الجو الكلاسيكيّ عبقًا سحريًّا خاصًا، يُهيأ إليك أن صوتَ الغناء ينبعثُ من إحدى الغرف، ولو اختلسنا النظر لأبصرنا عبد الوهاب ذاته يجلس مع فرقته يؤدون طقطوقتهم بجدية، بابتسامة أكثر اتساعًا دَعته للجلوس، غابت لثوانٍ ثم ظهرت وبيدها صينية تعلوها كأسٌ لعصير البرتقال.

اتفضل.. عصير يفتح نِفسك للأكل.

تناولَه بابتسامة ودودة، ارتشفَ رشفةً وبعد عبارات التحية والمجاملات سألته وهي تعدل من حجابها:

حضرتك ساكن جديد هنا؟

أخبرها بأنه انتقل من المنصورة ليستكمِلَ دراسته بالقاهرة منذ شهرين، وكيف عانى أمرَ تدبير شقة والتعايش في القاهرة الصاخبة، لمح إلى أمر وحدته للدرجة التي دعته يومًا لدخول سرادق عزاء وتقديم



واجب غير مُلْزِم، فقط لقتل وقته، ضحكت وهي تداري فمها بيسراها (معقولة!!)..

وانا والجميل قاعدين سوا

قاعدين سوا على شط النيل

وكأن ابتسامتها أزالت الحدود وهدمت السدود، أصابت قلبه في مقتل لتفرش بساط من الحنين يحمل أقدام الذكريات ليستطرد بحزنٍ حاول اخفاءه:

الحقيقة موضوع انتقالي كان لسبب تاني.

لمح نظرة تساؤل في عينيها فأجاب بحزنٍ حقيقيٍّ:

وفاة والدتي الله يرحمها.

بدت علامات الأسف على وجهها وكأنها حمّلت نفسها ذنبًا لا يدَ لها فيه.

أنا آسفة.

استدركت بمرح مصطنع:

أنا متشكرة أوي على تعبك معايا النهارده.

العفو.. على إيه! المهم، آدم عامل إيه دلوقتي؟

اختفى مرحُها ليحِلَّ حزنٌ الصباح مرةً أخرى

بخير الحمد لله، نايم من ساعة ما رجع من المدرسة.

حابة تتكلمي في الموضوع؟

ارتفع صدرها وهي تسحب نفسًا طويلًا وكأنه شريط ذكريات يدخل عبرَ فمها ليعرض مَشاهد لمأساةِ ماضٍ أليم كما حكت من قبل في طريق ذهابهما للمدرسة، هم اعتادوا الأمر مع مرور الوقت، لكن كانت المشكلة الأكبر مع زملائه، لم يستطيعوا التعامل مع الحالة بتلك البساطة، خاصة مع عينيه مختلفتي اللون، مديرة المدرسة أخبرتهم أنه يرتدي عدسات طبية لاصقة ملونة لدواعي مرضية، لكن الكذب لايفلح دوًا، أشارت كارما الى أنها قرأت كثيرًا عن تلك النقطة بالتحديد



وأن الأمر نادر الحدوث فعلًا، لكنه طبيعيٌّ ويحدث، هنا قاطعها آسر

أنا مش شايف مشكلة لحد دلوقتي..

المشكلة تطورت الفترة الأخيرة.

إزاي؟

حكت له عن انطوائه مؤخرًا وركونِه الى العزلة، وبعد برهة من الوقت أخبرته أنها في إحدى الليالي قامت فجرًا للاطمئنان عليه، لمحت ضوءًا يَطُل من أسفل فرجة باب غرفته، دنت قليلًا لتلتقط أذنها همسًا كمن يُسر أمرًا لشخصٍ ما ويخشي افتضاحه، أدارت مقبض الباب لتفتحه وترى آدم ينظر إليها متوترًا، سألته عن من كان يتحدث إليه فأنكر في البداية، ثم بعد إلحاح أجاب: (كنت بكلم نوح أخويا).

عادي جدًا، خيالات الطفل ممكن تصور له حاجات كتير وعلى حسب ما قولتيلي إن آدم كان متعلق بأخوه جدًا الله يرحمه.



في البداية أنا قُلت كده.

بعد برهة من التحديق إلى عينيه في صمتٍ:

إنت عارف إن أنا ربة منزل، يوم الخميس الصبح كنت...

كما اعتادت كارما صباح كل خميس، الاستيقاظ مبكرًا لإعداد شطائر الجبن المفضلة لدى آدم وتجهيزه لانتظار حافلة المدرسة، بعد مغادرته تستحم ثم تتناول قهوتها المفضلة استعدادًا لمهام تنظيف الشقة الأسبوعية، عادةً تبدأ بصالة المنزل لكن تلك المرة تقتادُها رجلاها إلى غرفة آدم، لا بأسَ، استسلمت للأمر وبدأت عملية التنسيق، رصّت كُتبه جنبًا إلى جنبٍ وطوت ملابسه الملقاة أرضًا، أزالت أتربة مكتبه الثائرة، شدّت ملاءة سريره المنكمشة، نفضت وسائده، رشَّت مبيد الحشرات الطائرة ليؤدي مهمته ويتبخّر أثره قبل عودة الابن، عدلت من ألعابه المتراصة فوق رفوف مكتبته، اصطدمت يدُها بعلبةٍ لتسقط أرضًا وتَلفُظ أحشاءها، لتجد جهاز البلاي ستيشن الخاص بالتوأمين



وقد غطته الأتربة من أثر الإهمال، لم يستخدمه آدم منذ وفاة أخيه، لم يعتَد اللعب به وحده ولم يجسر على رؤيته او حتى مجرد لمحه، أزالت الأتربة عن العلبة وذراعيّ التحكم، احتضنت الذراع الأيمن حيث كان يفضِّل نوح استخدامه، فرَّت دمعتان من عينيها بنحيبٍ مكتومٍ حين تذكّرت كيف كانت تحفِّزه به.

عايز تلعب بلاي ستيشن؟

آه يا ماما.

تطلب منه إجابةً عِدة أسئلة مختلفة

المبتدأ يُرفَع أم يُنصَب؟

فيجيب يُرفعَ بالضم

كم عدد أركان الإسلام؟

خمس أركان

درجة غليان الماء؟

مائة درجة مئوية

حاصل ضرب 5 في 12

ستون

سقطت على الأرض بنحيب مُعْلَن تلك المرة وهي تدعو له بالرحمة، والحنين يعتصر قلبَها، كم تشتاق إليه، ليتها توفّت قبل أن تحمله إلى قبره، اعتادت على قسمة جميل الأشياء بالتساوي بينه وبين أخيه، فرحلَ تاركًا نصيبه لتوأمه، وقسمة الحزن بينها وبين زوجها فرحلَ تاركًا نصيبه لها أيضًا، تمسح وجهها وهي تعيد الجهاز إلى علبته مرة أخرى وتُقصيه ركنًا بعيدًا عن الأعين، تهدأ وهي تستغفر مولاها، تبتسم بمرارة وهي تنطق متخيلة جلوسه أمامها.

عايز تلعب؟

تتخيل ردّه بالإيجاب فتسأله أصعب ماسألت من قبل:

بتحب ماما أدّ إيه؟



فيجيبها الصمت..

تنهض لتغادر الغرفة لتستكمل عملها علّها تنسى، يرن هاتفها تنظر بعينِ مشوشة إلى المتصل، تقرأ اسم آدم وتجيب:

أيوه يا حبيبي..

ماما أنا وصلت المدرسة..

طيب، حمد الله على السلامة يا قلبي.

الله يسلمك.. بقولك إيه...

قول يا روحي.

نوح بيقولك إنه بيحبك قااااااااد الدنيا دي كلها.

وضع عن يده العصير، بينما ظلّت ترمقه في انتظار قسمات الانبهار كردٍّ فعلٍ منطقيٍّ لما قالته، لكنها لم تظهر، تساءلت: هل هي طبيعة عمله التي لا شكَّ



أغرقته في حكاياتٍ وتفاصيل مشابهة وأكثر غرابة أحيانًا؟

أم هو عدم تصديقه لروايتها بالكامل هو سر رد فعله الهادئ؟

كل تلك التساؤلات دارت في ذهنها ووارب باب كرامتها كأنثى ليسمح بتسلل بعض مشاعر الإهانة إلى قلبها، الأنثى تكره من يُكذِّبها ولو كانت بالفعل تكذب، بينما على الجانب الآخر كان يشعر آسر ببعض المبالغة في البداية ولم يتخطَّ الأمرُ معه الشعرةَ الفاصلةَ بين اتهامي المبالغة والتكذيب، لكنه شعر في النهاية أن هناك بالفعل مشكلةً حقيقيةً، لا يقتصر الأمر على هواجس أمٍّ مبالغ فيها، في تلك اللحظة تحديدًا قرَّرَ مدَّ يد العون لها، أيًا كانت الدوافع أو المبررات، تناوَل العصير مرة أخرى، رشف رشفة قبل أن يسألها:

طب بتفكري تبدأي منين؟



وكأن سؤاله نفى جميع هواجسها تجاهه لتتحمس مرة أخرى:

لو أمكن تكشف عليه في عيادتك وانا هدفع والله، بس كل اللي عايزاه اهتمام منك لحالته.

باغته طلبها ليسقط كأس العصير أرضًا ويتهشم منفجرًا، بعد عبارات الاعتذار وهمهمات الإحراج أخبرته أنه (مفيش مشكلة).

بعصبية جففت الأرض بمناديل ورقية وهي تقول:

لو حضرتك متردد تكشف عليه مفيش داعي للإحراج أنا ممكن أشوف دكتور تاني.

لأ خالص أنا تحت أمرك.

قالها معتذرًا.

طيب ممكن أجيبه العيادة إمتى؟

بعد برهة من التفكير:



يوم الجمعة كويس؟

معقولة! في عيادات الجمعة؟

كده أفضل علشان أعرف أتفرغله تمامًا.

بامتنانٍ من وجدت الماء بعد ظمأ:

ربنا يخليك يارب، أنا مش عارفة أشكرك إزاي.

مساء الخير.

التفت آسر إلى مصدر الصوت ليجد رجلًا ستينيًّا يقف مرتديًا جلبابًا مغربيًّا أبيض اللون وقد تلطخ بعدة ألوان في مناطق متفرقة، أصلع الرأس سوى الجانبين يملأهما شعر أبيض طويل متصل بلحية بيضاء خفيفة، يرتدي نظارة معدنية تلطخت هي الأخري بالألوان، يقف مشتبك الأيدي بطريقة استعراضية وقد علت ابتسامة الواثقين شفتيه، قدّمته كارما:

- والدي.



أومأ آسر إليه بالتحيَّةِ ليرد الآخر بإيماءة مماثلة، ثم دعاه للعشاء.

على مأدبة العشاء تراصَّت أصنافٌ عِدةٌ من الطعام بين كاسات العصائر الملونة المنتصبة على الحواف، ظل الأب يلوك طعامه على مهلٍ بينما يراقب آسر المنهمك كليًا في الأكل منفصلًا عن العالم المحيط ترتفع يده عن طبق المحشي، تُفرِغ حمولتها في فمه ثم تحوم كطائرة هيليكوبتر حائرة قبل أن تَحُطَّ على طبقٍ آخر تلتقط منه هو الآخر، يتجرع بعض العصير ثم يكمل مابدأه، يضع الأب منديلًا ورقيًا على فمه ثم ينهض مغادرًا وهو يهمس:

هاتيلي القهوة في المرسم يا كارما ولما الأستاذ يفوق من الغيبوبة بتاعته إبعتيهولي.

تكتم ضحكتها وهي تنظر لآسر:

حاضر يا بابا من عينيا.



قرأ آسر ما قيل في عينيها، شعر بالإحراجِ، ابتسم لها فبادلته الابتسامة، جفف فمه بمنديل المائدة، نهضت تحمل الأطباق بيسراها بينما أشارت إلى أحد الأبواب:

بابا مستتنيك في أوضته

طرق الباب، جاءه صوتٌ مكتومٌ: (اتفضل)، أدار المقبض ليفعم أذنه صوت فيروز ينساب عبر أركان الغرفة

ياسنيني اللي رح ترجعيلي رجعلي شي مرة إرجعيلي

وانسيني على باب الطفولة ت أركض بشمس الطرقات

حشت أنفه رائحة كيماوية تُشبِه النفط، أدرك مصدرها حين أبصرَ الرجل يجلس موليًا ظهرة لباب الغرفة ممسكًا بفرشاتة يلون سماءَ لوحة بيضاء تنتظر تحديد هويتها، يُحرك يده كذيل سمكة تشق طريقها في محيط أزرق غير أنها مُسيَّرَة لا مُخيَّرة، يغمر الفرشاة في بقعة زيتية بيضاء ثم يرفعها ويختار بقعةً أخرى سوداء ليلامسها بالكاد ثم ينتقي مساحةً خاليةً من



رقعة الألوان - أو باليتة الألوان كما يسميها الرسامون - ويدعك رأس الفرشاة بتأنٍّ فيخلق لون ثالث هو أقرب للرمادي ثم يصنع جبالًا ووديانًا.

سأل دون أن يلتفت:

ليك في الرسم؟

لأ..

يبقى مالكش في حاجة .

فكر آسر قليلًا في الجملة إن كانت دعابةً أم ذمًّا؟ لكنه ابتسم في النهاية وهو يسأل:

حضرتك بترسم من زمان؟

لأ، من ساعة ما ماتت رتيبة والدة كارما.

إشمعنى؟

هنا توقفت يده والتفت إلى آسر لأول مرة:



عشان أعيش معاها اللي مالحقتش أعيشه.

واضح إن حضرتك كنت بتحبها أوي.

مش فاكر..

إزاي مش فاكر؟

الحب يتقاس بالمواقف، والزهايمر مسح كل المواقف اللي بيني وبينها حتى صورتها، متهيألي لو قابلتها تاني مش هعرفها، لكن هحسها.

كلام متضارب لكن محاولة تصحيحه ينطوي على مجازفة هو في غنى عنه، انصرف ذهنه لهذا المنزل الذي لا ينقصه سوى تذاكر ويتحول لمتحفٍ ومزارٍ أنهى الرجل لوحته، وقَّع أسفلها ثم دعاه لتناول العشاء..

ياسنيني اللي رح ترجعيلي.. رجعلي شي مرة إرجعيلي



ورديلي ضحكاتي اللي راحوا.. اللي بعدا بزوايا السحاب

لم يكن آسر راغبًا في الجلوس وحده بعد ذلك العشاء الرائع، كان قلبه يرقص طربًا لا يدري ما يفعله، أراد أن يجالس بشرًا، يحدّثهم، يحكي لهم عن عشائه الحميمي، يقص عليهم كم هي أسرةٌ رائعةٌ تناوَلَ معها الطعام واستمع لموسيقاهم وشاهد لوحاتهم، فقادته قدماه للمكان الوحيد الصالح في ذلك الوقت..

القهوة

ما إن جلس حتى اقترب منه الصبي المهتم دائمًا دون كلل، وضع كوب الماء المثلج، مبتسمًا سأله عن حاله، أجاب بأسعده، تمنى له دوام الحال ثم أخبره أن قهوته اليومية ستحضر في غضونِ دقائق وانصرف، تابعه آسر وهو يبتعد وابتسامة إعجاب لا يدري كانت أم سعادة لم تفارق وجهه، ثم راودته ملاحظة أدهشته بعض الشيء، نبَّهَه إليها صبي القهوة دون قصد، وهي يوميَّة جلوسه في القهوة، كيف حدث هذا وهو لم يستسِغ ارتيادها يومًا قط..

يبدو أنه اعتاد على تصرفات جديدة منذ انتقاله، ابتسم ما إن تسلل صوت عبد المطلب إلى مسامعه رغم ضجيج البشر ورقع أقراص الطاولات وكركرة النراجيل، ليدغدغ خيالاته المستقبلية:

(شفت حبيبي وفرحت معاه.. ده الوصل جميل حلو يا محلاه)



لم يكن يومًا ممن يفكرون في الارتباط، ولا تعرف أيَّةُ مشاعر طريقًا لقلبه، لم يهتم عمره سوى بدراسته وتفوقه، كان والده يطالبه دومًا بالتركيز في مستقبله، أما عن الحب والزواج هي أشياءُ ستركض خلفه، أو بوصف أدق ستركض خلف لقب (دكتور) فيما بعد، اقتنع بكلام الأب وغرق بين الكتب والمراجع الطبية لم يكن يؤرقه وبطبيعة الحال كذكرٍ سوى غريزته الشهوانية.

من جانبٍ آخر كانت أمه تُغدقه حبًا ورعاية أنسته مشاعر المراهقين الهائمة، حتى توفت لتتركه وقد شبَّ على ما ربته عليه، وها هو الآن يجلس هائمًا في أوَّلِ من طرقت عيناها جدار قلبه المصمت وشق صوتها ثقبًا نفذ كالسهم.

أحضر الصبي قهوته في الوقت الذي تذكَّر فيه أمرًا أثارَ موجةً من الدهشة أطفأت نيران هيامه المتقدة لثوان..

كيف لم يرَ آدم خلال جلسته الطويلة تلك؟



هل يعقل استغراقه في النوم كل هذا الوقت الذي قضاه معهم؟

لا بُدَّ أن في الأمر أمرًا

نفض عن رأسه هواجسها، لا يهم الآن سوى حالة الشجن التي يعيشها، لن يسمح لأي شيءٍ أن يفسد عليه فرحته، أخرج سيجارةً وأشعلها، سحب نفسًا طويلًا عطشًا ثم زفره وهو يتناول قهوته

(بعد الوحدة طول الأشجان.. كان قلبي وحيد وصبح فرحان)

بنصف ابتسامةٍ حاول مداراتها خلخل خصلات شعره وهو يستعيد تفاصيل اللقاء، لكن هيهات.. دومًا تأبي الذاكرة استعادة أجمل لحظاتنا وكأنها تنذرنا بأنها لا تعاش سوى مرة واحدة، في حين تحيل ما تبقَّى من أعمارنا لشرائط سينيمائية مكرَّرَة لأصعب اللحظات لا تتوقف عن الدوران، لكن السؤال الأهم الآن هل هو



مستعد حقًّا للارتباط، لطالما حذَّرَته أمّه من التسرع في ذلك الأمر، أغمض عينيه واستعاد ذكرى..

كان لم يزل ابن الأحد عشر عامًا، يلعب في حجرته مع صديقه (عدنان) بالكاميرا الجديدة التي أهداه والده إياها، علمه كيف يقوم بتثبيتها على الحامل وظبط المؤقت لالتقاط صورة، وكان قراره بمجرد أن تعلم كيفية استخدامها هو أن تكون الصورة الأولى هي التي تجمعه مع صديقه الأوحد (عدنان)، ضبط المؤقت ثم أسرع ليقف بجانب عدنان واضعًا ذراعه فوق كتفه، أشار بسبابته تجاه الكاميرا لتتوجه نظراتهما صوبها.

3

ابتسما سويًا

2

التمعت عيناهما

1



ثم دوت الصرخة

صرخة فزع تصلّبا على إثرها، تبعها صوت ارتطام فتحطُّم شيء ما، هرعا مسرعين للصالة ليُبصرا باب غرفة والديه مواربًا، اقترب آسر منه بينما توقف صديقه في الصالة حرجًا، دلف إلى الغرفة ليجد الفازة التي كانت تحوي أجمل الأزهار والتي طالما حرصت أمه على جمعها وتنسيقها، مهشمة أرضًا، بينما تناثرت زهورها كالقتلى من حولها، في حين جلست الأم على الفراش تدفن وجهها ونشيجها بين كفّيها، وبكاء أخيه الرضيع الراقد بجانبها لا ينقطع، جلس بجوار الطفل الباكي وهو يهدهده حتى هدأ تمامًا ، ثم سألها عما حدث فكتمت بكاءها دون أن تنظر إليه، دنا منها ثم ربت على كتفها واحتضنها، ولأن العناق أفضل مُحفز إلهي ناجح دومًا للاعتراف بمعانات الصدور..

انفجر نحيبها تلك المرة، وكأنها كانت تنتظره

لم تفصح أمه عن ما حدث، لكنه أدرك أن ثمّة مشكلةً تلوح من بعيد.



شنووووووووو هذا

أفاقَ آسر على صيحة مُعلق المباراة، ليُدرك أن سيجارته لقت حتفها حرقًا وقهوته قد بردت تمامًا كذكرياته، نادى على الصبي، سأله الأخير إن كان في حاجةٍ لقهوة أخرى بديلة ساخنة، هز رأسه نفيًا شاكرًا ثم دسَّ يده في جيبه ليخرج بعض الأوراق المالية، سقط شيءٌ ما من جيبه..

انحنى ليلتقطه؛ سلسلة فضية تتوسطها لؤلؤة بيضاء أعادها مرة أخرى لجيبه ثم انصرف.

أنهيا عناقهما على صوت عدنان المنادي:

آسر، خير؟!!

ابتسمت أمه والدموع لم تزل تملأ مقلتيها، ربتت على كتفه مُطمْئِنة:

إلعب مع صاحبك يا حبيبي، أنا بخير.



مسح ماء وجهها بكفيه ثم بعد تردد غادر الحجرة عائدًا لصديقه، لتقوم الأم بجمع الأزهار المبعثرة أرضًا والتقاط الزجاج المكسور بحذرٍ، انتهت من إصلاح وضع الغرفة ليعود كما كان، استقرت على فراشها، حملت الرضيع، أخرجت ثديها الأيمن لقمته إياه، قضم رأسه وشرع ينهل منه في نهم..

بعد عدة دقائق، عاد آسر يحمل كاميرته الجديدة ليثبتها فوق حاملها ويضبط مؤقتها، وبينما يقترب من والدته لالتقاط صورة معها، أخرج من جيبه إيشاربًا ورديًا ليلُفُّه حولَ عنقها ويداري سوءتها قائلًا:

كنت شاريه لعيد ميلادك.

تبسّم وجهها فرحًا، طالبها بالاعتدال صوب الكاميرا، وبمجرد أن فعلت، أراح ذراعه الأيمن فوق كتفها ولامس بكفه الأيسر وجه أخيه وبنصف ابتسامة:

3

2



1

كليك



في اليوم التالي

كان آخر يوم أشوف فيه أخويا.

تحت تأثير ذكرى الأمس قالها وهو ينظر إلى الصورة في يده لطالما احتفظ بها داخل محفظته:

مات؟!

سأله زميله في المستشفى ليعقب:

الله يرحمه، حصله ضيق تنفس شديد، ونقلناه المستشفى لكن...

أطرق زميله آسفًا:

ربنا يتغمده برحمته.

أنهى جملته بحماس مصطنع ثم شمّر أكمام معطفه الأبيض:

طب يلا تعالى نصلي الظهر جماعة.



هز آسر رأسه مبتسمًا:

اسبقني يا ماجد وانا هحصلك.

رمق تهربه بنظرة لوم، لطالما حاول ماجد جذب زميله لطريق الالتزام لكنه كان يضع نصب عينيه دومًا (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)..

كان يصغُره بعامٍ وكان يتبع الحسنى في دعوته ويؤمن بأن أفضل الأساليب أكثرها فعلًا وأقلها كلامًا، بالملاحظة لا بالتوجيه المباشر، التزامه وسطي بلا تشدُّد وبلا تراخٍ، ملتحٍ قصير شعر الرأس لكنه وفي ذات الوقت أنيق مهندم، يُحسن اختيار ملابسه وعطره، شخصيته تحظى باحترام زملائه، واندهاش بعضهم، فهو كما يحرص على قراءة وِردِه اليومي من القرآن، يحافظ أيضًا على الاطلاع على أعمال الأدب العالمي، فتجد معمله لا يخلو من رواية لديستوفيسكي، شيكوف، ماركيز، تولستوي، شخصية تبدو مُتناقضة لكنها حية واقعية مُتصالحة، لذلك أحبَّه آسر وتقاربا في فترة وجيزة، واليوم هي المرة الأولى



التي اتبع معه ماجد أسلوب النُصح المباشر بعد أن حاول مرارًا وتكرارًا بشتى الطرق غير المباشرة، ربما حبًا فيه، وربما لأنه يراه يستحق الأفضل، لكن آسر لم يستجب يومًا وكان رده دومًا (ادعيلي يا ماجد).

حكى له الأحداث الأخيرة وقصة آدم ولم ينسَ بالطبع كارما، قرأ ماجد في عينيه أمرًا آخر، أمر لم يحاول آسر إخفاءه قط، وقطع حديثهما سقوط الصورة التي ذُكرت مناسبتها، لاحظ ماجد تأثره الشديد بأمه ووفاة أخيه الرضيع حينما أخفى حزنه بإظهار انهماكه في العمل حيث ارتدى قفازه الأزرق ودنا من أحد أجهزة الميكروسكوب، ثم دفن عينيه فيه، هنا اقترب ماجد من أذنه وهمس وهو يربت على كتفه:

أقولك على حاجة تريحك؟

أومأ دون أن يبعد عينيه عن المجهر:

قول..

قطّع الصورة دي.



هنا رفع رأسه مندهشًا:

أقطّعها؟

ذكرَ له بعضَ الأحاديث على غرار أنَّ اللّه لعن المصورون وأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صور، وأن اللّه يوم القيامة يأمر المصور بأن يُحيي ما صوَّر فلا يستطيع.

ازاي أقطع صورة فيها ذكرى لأمي اللّه يرحمها يا ماجد؟!

لذلك حرَّمَ اللّه التصوير يا صديقي، ده رحمة بينا وبقلوبنا المُعلقة بأغلى الناس.

أتم جملته واستدار منصرفًا:

هستناك نصلي جماعة.

عاد بعد عشر دقائق ليجد آسر كما هو، لم يفاتحه في أمر الصلاة مرة أخرى، سأله في محاولة لتغيير

الموضوع:

قولي، صارحتها؟

مين؟!

كارما.

هز رأسه نافيًا:

مش قادر.

لازم تصارحها.

المرأة دائمًا حالمة، تعشق الاهتمام حتى وإن كان مزيفًا في حالة البائسات منهن، لكن مأساتها تبدأ حين اعتياده، تصبح مهددةً بسحب هذا الاهتمام في أيَّة لحظة فلا هي تستمتع به ولا هي تخطو فوق مخاوفها وتتخطاها، فشَلَةٌ نحن في معايشة لحظتنا الراهنة، عباقرة في إفساد فرحتنا، توقعاتنا السيئة وانتظارنا دومًا للمصائب يستنزفان قليل أفراحنا، لذلك نجد



كارما بعد لقاء العشاء تعيش حالة من الاضطراب النفسي، فلا تدري إن كانت حزينة بتطورات حالة ابنها أم هي سعيدة باهتمام آسر حتى وإن كان اهتمامًا فرعيًا غيرَ مباشر بها، تذكَّرَ آخر مرة شعرت به كانت قبل وفاة زوجها، كان يحبها حقًا، لذلك عشق أبناءه منها، قوة ارتباط الأب بأبنائه تتناسب طرديًا مع مدى حبه لزوجته، وهو كان يعشقها لذلك لم يتحمَّل قلبه رحيل نوح، مات كمدًا وكادت هي أن تلحق بهما لولا وقوف أبيها بجانبها، نفضت عن رأسها أفكارها المتلاحقة بينما تقف في المطبخ تغسل صحون العشاء، رصت آخرَ طبقٍ في مكانه وغسلت يديها ثم دخلت غرفتها لتستعد للنوم وقفت أمام المرآة فركت مرطب البشرة بيديها ثم مسحت به على وجهها وهي تدلك بشرتها، منعت ابتسامة من الوصول إلى شفتيها ثم تعطرت وانزلقت أسفل فراشها، حررت يدها اليمنى لتضغط زر الإضاءة وتغط في نوم عميق.



الثالثة فجرًا..

لا صوت يطغى فوق صوت عقارب الساعة..

بأنفاس متلاحقة يعلو صدرها ويهبط، تلك اللحظة التي ترى حُلمًا مزعجًا وتحاول إنهاءه بأي طريقة أو إعادة جسدك لعالمه الواقعي مرة أخرى بشتى السّبل، يقاتل جهازك العصبي لتحريك أطرافك في محاولة لإيقاظك أو بمعنى أدق:

إنقاذك

تلتقط أذناها كلمات هامسة غير مفهومة تأتي من بعيد، تقترب، كصوت سيارة تهدر على طريق سريع، تنتبه من غفلتها، تقاوم ثقل جفنيها بصعوبة غير مصدقة أنها غادرت كابوسها الأليم، ترتكز على رسغيها، تسند رأسها على حافة الفراش، تخلخل شعرها خلف أذنيها وتتعوّذ، تحاول استرجاع تفاصيل الكابوس الذي عرّاها فتفشل، تضع كفّها على صدرها وهي تزدرد



ريقها ثم تنزلق مرة أخرى أسفل الفراش لتستكمل نومها.

هنا يعاود الهمس من جديد، إذًا لم يكن جزءًا من الحلم بل هو واقع..

تنقض يدها على زر الإضاءة، تضغط فتنير الغرفة وترى آدم واقفًا أمام باب الغرفة، ينسدل شعره المسترسل على وجهه، يرتدي بيجامته البيضاء، بدأ يتحرك صوب فراشها وما إن نظرت إلى قدميه حتى أصابها الهلع، رجلاه معكوستان حيث ترى كعبيه ومن خلفها أصابعه، لكن لحظة..

حالة نعاسها وتشوُّش الرؤية لم يسمحا لها بإدراك أمر هام، وهو أن آدم يقف بظهره، يتحرك ويدنو منها بطريقة عكسية، ليس من المنطقي أن تفزع أم من ابنها، لكن في حالة كتلك مستحيل ألا تفعل، استمر آدم في التحرك بظهرة مقتربًا من حافة السرير حتى اصطدمت قدميه به، مدَّ يده ليرفع الغطاء ثم انزلق أسفله ولم يزل موليًا ظهره لها، سكن جسده تمامًا..



أما عن الأم فقد مدَّت يدها المرتعشة لتربِّت على كتفه، وبصوتٍ متحشرجٍ:

آدم.. إنت.. ب.. بخير؟!

تصبحي على خير يا أمي.

فألقت عنها الغطاء وقفزت تغادر حجرتها بكل ما أوتيت من قوة وكأنها تهرب منقنبلة على وشك الانفجار، ليس بالطبع جراء جملة (تصبحي على خير) بل جراء الصوت الذي نطقها..

لم يكن صوت آدم بالمرة..



الجمعة- التاسعة مساءً

منطقة المعادي

يتوقف تاكسي لتترجل منه كارما ووالدها وابنها، تخرج قصاصةً بيضاء من جيبها تضاهيها بما هو مكتوب على أحد الأبراج (برج الصفوة الطبي).

تُمسِك آدم من يده وتتوجه صوب مدخل المبنى يتبعها والدها رافعًا رأسه لأعلى يتفقَّد ارتفاع البرج الشاهق، دلفوا إلى الداخل ليجدوا رجل أمن يقف خلف أحد المكاتب يشاهد فيلمًا في شاشة تليفزيون صغيرة، توجهت كارما إليه وسألته عن عيادة آسر، بدا على وجهه علامات التفكير قبل أن يخبرها أنه لم يُكمل سوى إسبوعين منذ قدومه للعمل بهذا البرج وأنه لم يألَفْ جميع الأسماء بعد، ثم اقترح أن تتصل بالعيادة لتتأكد من رقم الطابق، بالفعل أخرجت هاتفها واتصلت بآسر ليخبرها بالتفاصيل، استقلوا المصعد متجهين للطابق السابع، العديد من الأبواب لعيادات ومراكز



تحاليل وآشعة، كان أغلبها مغلقًا نظرًا لأن اليوم عطلة رسمية، ثم فتح أحد الأبواب ليظهر آسر مبتسمًا:

اتفضلوا.

تقدم الجد أولًا ليصافحه ثم تبعه آدم ممسكًا بيد أمه التي ألقت نظرةً سريعةً على مطرقة الباب المعلقة على هيئة ملاك نحاسي بجناحين واليافطة التي كتبت بخط اليد (دكتور / آسر عبد الرحمن مصطفى)

ثم مدَّت يدها لتصافحه مبتسمة، التقط أناملها في رِقَّة وهو يبادلها الابتسام، تلاشت ابتسامتها ليحل محلها الخجل حين أطال النظر إلى عينيها، سحبت يدها بسرعة وتجاوزته ليغلق الباب خلفها ويلحق بهم.

في حجرة لا تقل مساحتها عن خمسة عشر مترًا، ومكتب فخم وكراسي وثيرة ومكتبة عملاقة، وإضاءة خافتة انعكست على زجاج النوافذ المطلة على الشارع الرئيسي، جلس آسر على المكتب وأمسك بورقة وقلم وشرع يخط شيئًا، اشرأبت كارما لتسترق النظر لما



يكتب فما استطاعت، أنهى آسر كتابته ثم نظر إلى آدم مبتسمًا ولأول مرة بادله الابتسام، تنهَّدَ في ارتياح:

نبدأ جلستنا؟

سألته كارما إن كان يوَد أن تخرج هي وأبوها فأجابها ألا مشكلة، نهض الأب وهو يلتقط ورقة بيضاء وقلم حبر:

بعد إذنكم أنا هسيبكم وأخرج بَرَّه أرسم شوية.

غادر وأغلق الباب خلفه، ابتسم آسر وأشار لكارما بالاقتراب والجلوس على الكرسي المقابل، ما إن جلست حتى سألها لو تود أن تحتسي مشروبًا، شكرته باقتضاب، فتح مبرِّدًا صغيرًا أسفل المكتب وأخرج مشروبًا غازيًّا وناولها إياه، يلتقط هاتفه من جيبه، فتح برنامج التسجيل، قربه فيما بين آدم وكارما وشرع في إطلاق الأسئلة، كانت جلسة هي أقرب للنقاش ومما أثار تعجب كارما أن أغلبه كان بينها وبين آسر، ليس العكس كما توقعت وبالرغمِ من ذلك رقَّتْ للحديث



معه، لم يُفسِدْ متعته سوى قلقها الدائم على حالة ابنها كأي أم تُغلّب مصلحة أبنائها على مصلحتها الشخصية، تساءلت عن كم الأجهزة الطبية الموجودة أجابها بأن تلك الأجهزة تخص الحالات المرضية المتقدمة ولا تلزم آدم في الوقت الحالي، لم تختفِ الابتسامة عن وجه آسر لحظة واحدة، كانت تتحدث وهو يتابعها بعينيه، يراقب كل خلجة كل حركة كل إيماءة، سرح كثيرًا، كم أحب طريقة ارتشافها لمشروبها، إمساكها لهاتفها، صوت بعثرة الأشياء حين تعبث يدها داخل حقيبتها بحثًا عن شيء ما، حديثها إليه وكأنها تحادث نفسها، تنطق الكلمات دون تحفّز أو تردُّدٍ، الاسترسال دون انتظار لرد أو مقاطعة.

في نهاية اللقاء صافحها:

خلِّي بالك من نفسك.

وانت كمان خلِّي بالك منّي.

استدركت:



منك..

ثم استدارت تهرع بالمغادرة وآدم يركض في محاولة للحاق بها، لتجد أباها يغط في نوم عميق فوق إحدى الأرائك.



مساءً

في قهوة الوحدة

هكذا أسماها آسر، يجلس يستحلب سيجارته باستمتاع، يرتشف قهوته بتلذذ، يخرج هاتفه يدس الطرف المعدني لسماعة الأذن داخل الثقب المخصص له، يعيد الاستماع للجلسة التي أجراها في العيادة للمرة الثالثة دون كلل أو ضجر، يأتي إلى الجزء الأخير ويعيده لأكثر من مرة، يبتهج قلبه كل مرة وكأنها الأولى التي يسمعها فيها، يرجع بزمن التسجيل لأي لحظة عشوائية ويستمع، يحاول استرجاع ملامحها حين تتحدث، حين تشير، حين تعبِّر بكامل جسدها، حين تصمت فجأة فيتساءل تجيبه وتقول له:

بفكر في الصدفة..

صدفة ايه؟!



تُخبره الصدفة التي أيقظته متأخرًا لتقابله في المصعد ويتغير مسار حياتها لاتجاه آخر، أكثر راحةً وأمانًا.

يبتسم ويتخيل لو كان لحظتها أمسك بيدها وأخبرها أن كل شيء مكتوب ومحدد ولا وجود لما يسمى بالصدفة.



مساء يوم الأحد..

كان لا يجد أُنسًا سوى مع جدّه، هو الوحيد الناجح في انتزاع الضحكة من بين شفتيه المطبقتين دائما، آدم قليل الكلام لكن مع جدّه لا يتوقف عن الصياح والضحك، أمّا عن ذاكر فهو يحاول تعويض ما لم يعشه مع أبنائه، كان أبًا قاسيًا ولم تكن تلك القسوة سوى ترجمة لخوفه وقلقه الدائم عليهم، لم تسمح له قسوته وشدته بالتباسط معهم ظنًّا منه أن أولى خطوات الضياع تبدأ بإزالة الحواجز، كم كانت تطالبه زوجته -رتيبة- بأن يكون ليّنًا غضًا معهم لا رخوًا هشًا فيفقد هيبته، لكنه وككثير من أبناء جيله لا يعرفون للرمادية طريقًا، تمر السنون وتتوالى التجارب وتبيضّ شعيراته فتبدأ الرأفة تشق طريقًا لقلبه، تتوفى زوجته وتهمد قواه فيدرك كم كان مخطئًا، يحتضن أحفاده متقمصًا دور الأب فينسوه ما مضى، يتوفى أحدهم فينفجع قلبه ويتشبث بالآخر أكثر قوةً، لا يرفض لآدم طلبًا ولو كان مستحيلًا، يبتسم كلما تذكَّرَ يوم أن طالب أمه بالذهاب إلى الملاهي وكان الوقت متأخرًا



وقد أغلقت جميع الأماكن الترفيهية وقتئذ، يذكر كيف تطوع للترفيه عنه قائلًا (سوف أحضر لك الملاهي هنا) ثم انكفأ على يديه ساجدًا آمرًا إيّاه (اركب)، امتطى الولد ظهره ضاحكًا وظلّ يطوف به بين أركان الشقة دون كللٍ أو تعبٍ، غير عابئ بضربات قلبه المتوالية بتزايد حتى فقد وعيه من فرط الإرهاق، يتذكر ذلك وهو يبتسم متابعًا آدم وهو جالس كصنمٍ لا يتحرك منه سوى عينيه أمام شاشة التلفاز بينما تمسك كارما بإبرة التريكو تصنع شيئًا وتختلس النظر إليهما من وقت لآخر، تتابع بعينيها غرز التريكو حتى لا تخطئ التسلسل، بينما يهرب قلبها إلى أماكن أخرى وحجرات خلفية لا تُفتَح إلا ليلًا، تراه جالسًا معها في حجرة مديرة المدرسة والدهشة باديةٌ على وجهه، تراه محاولًا تهدئتها وطمأنتها بأن كل شيء سيكون على ما يرام، تُشاهده وهو جالس معها على مائدة الطعام، في سيارته، في عيادته، حين نتذكّر أحدهم نجد ابتسامة مجبرة تُفرض رغمًا عنا، لا نقدر على كبتها أو حتى التظاهر بعدم صدقها مع أنفسنا، يرن جرس الباب فتهرع مسرعة وكأنها توقعته، تفتح الباب فتجده،



تلقي بنفسها في حضنه، تعتصر ظهره بأصابعها، تجهش بالبكاء حتى تبتل ملابسه، يربت على ظهرها، ينتشل وجهها من صدره، يبتسم مداراة لبكائه، تجذبه من يده ليتبعها داخلًا وقد سقطت عن يده حقيبته وهي تصيح:

بابا، معاذ رجع من الجيش.

احتضنت أخاها بدلًا عنه..

ربما..

يجلس معاذ على مائدة الطعام ولم يزَل يرتدي زيّه العسكري، اشتياقه لطعام منزلي وخاصة لو كان من يد أخته كان أغلب، يتناول الأكل بنهمٍ بينما يجلس عن يمينه أبوه وعن يساره أخته يشاهدانه باشتياقٍ وكأنه عائد من سفر بعيد، بينما اكتفى آدم بتحيته عن بُعدٍ وهو جالسًا بموضعه أمام التلفاز، سألته عن أخباره وكيف يأكل ويشرب بالوحدة العسكرية، أجابها وهو يبتلع بعض اللقيمات بأن كل شيء على ما يرام ولم



يتبقَّ سوى شهرين لينال إعفاءة النهائي من الجيش، مسدت بيدها على شعر رأسه القصير، كارما لا تعتبره أخًا، هي تراه ابنها الأكبر، انتهز فرصة دخول أبيه لدورة المياه وسألها هامسًا عن حاله، أجابت بأنه بخير، لكن أمر الزهايمر كُل مدى يزداد سوءًا، لكنها حريصة على مواعيد الدواء كما وصفها الطبيب، ابتلع بعض الماء ثم سألها:

مفيش أخبار عنها؟

بفم مغلق ابتسمت، ثم أجابت وهي تربت على كتفه:

ماسمعتش عنها أخبار من ساعة ما سافرت.

أومأ برأسه ثم همَّ بالنهوض لولا أن استوقفته:

انساها يا معاذ.. انساها..

ثم غادر لغرفته، خلع عنه ملابسه ثم استحم وخرج نصف عارٍ ليلقي بجسده على فراشه دون أن يستكمل ارتداء ملابسه، مرتخيًا مغمض العينين رأى وجهها



يطفو فوق نهر الذكريات، اشتاق إليها فاشتاق لكل ما تعلق باسمها يومًا، نطقه وهو مستلقٍ على هذا الفراشِ يومًا، تلفظ به وهو يقف أمام المرآة يختبر نفسه كيف سيصارحها بحبه يومًا، ضغطت أنامله حروف اسمها وهو يجلس أمام حاسوبه يحادثها في أمور دراستهم يومًا، لكنه يبقى في النهاية (يومًا)، كان ولم يعد، هي سافرت فجأة وبلا مقدمات، رحلت بعد أن صارحها بما يشعر تجاهها، ابتعدت دون قبول، أو حتى رفض، فقط هكذا، كان خبر سفرها مع أسرتها للخارج بمثابة الصدمة، حين وصله عن طريق زميلة مشتركة بينهما برغم من كونهما جيرانًا، ظن غلق الشقة لفترة هو مجرد انتقال لسكن آخر،

لم يتخيل أن الانتقال قد يتخطى بلادًا ومحيطاتٍ، لم يتوقع منها أن ترحل هكذا دون تعقيب أو حتى وداع.

ألا يحق له وداعًا حتى ولو كان أخيرًا.

نهض ثم استكمل ملابسه، جرَّ كرسيًا ثم جلس أمام حاسوبه، ضغط زر التشغيل ليديره بعد سكون أكثر من



شهرين، زمجر الحاسوب في البداية ثم أضاءت شاشته بواجهة المُشغل الزرقاء، فتح المتصفح ثم ولج إلى حسابه بالفيسبوك وفي خانة البحث كتب اسمها كاملًا، فيروز عبد الرحمن الحصري، عُرض أمامه العديد من الأسماء المشابهة لا تنتمي إليها، أزال اسم أبيها وكتب (فيروز الحصري) لا فائدة أيضًا.

كتبه بالإنجليزية، أسفرَ بحثه عن عدة حسابات أخرى، قرر الدخول إليها جميعًا، اقتحم أحدهم تلو الآخر، طالع البيانات المتاحة والصور المتوفرة، استبعد الحسابات التي لا تتعلق بها، لم يتبق سوى ثلاثة حسابات فقط، لم يستطع التعرف عليهم، نظرًا للسرية التامة التي أحاطوها بها أصحابها، لا بيانات، لا صور، لا منشورات متاحة تمكنه حتى بالتكهن إن كانت هي فيروزته أم لا، ظل ينقر بأصابعه على المكتب مترددًا، ثم قرر كتابة رسالة مفادها: «فيروز، أنا معاذ، ياريت تكلميني أو حتى تردي على الرسالة وتطمنيني عليكي»



أرسلها للثلاث حسابات، انتظر عدة دقائق دون استجابة، نهض دون أن يغلق حاسوبه ثم اندسَّ تحت غطائه وكأنه يداري أحزانه.. ونام



مساء اليوم التالي..

الجلسة الثانية..

بابتسامته المعهودة يجلس آسر عاقدًا كفّيه يتطلع إلى آدم الصامت، وفي غياب الجَدّ تلك المرة ظل يسترق النظر إلى كارما بين الحينِ والآخروهو يحاول انتزاع الحروف من فم الطفل، فك عقدة كفيه ليرفع بيسراه خصلة شعر تهدلت على وجهه، ويظبط بالأخرى وضع نظارته على أنفه، هبَّ واقفًا لتتمرجح سماعة الهاتف المتدلية من أذنه ثم مدَّ يده لآدم ليصطحبه للجانب الآخر من الغرفة، أجلسه على فوتيه أمام شاشة تلفاز ضخمة وأمسك بالريموت يضغط بعشوائية وارتباك في محاولة لتشغيل الجهاز، فكرت كارما، يبدو أنه لم يستخدمه منذ فترة، أو ربما اضطرابه ناتج وجودها هو، ابتسمت لمجرد الفكرة، فارتباك المحب في حضرة المحبوب آيةٌ..

نجح أخيرًا في تشغيل الجهاز، ثم جلس بجانب آدم الذي انتبه فجأةً لما يُعرَضُ أمامه، وضع ذراعه على



كتفه ثم استرسل في الكلام، نقاشاتٌ طفوليةٌ، أسئلةٌ ملغَّمة باختبارات نفسية، يرسل كلماته ويتلقى ردودًا من الطفل دون أن يلتفت إليه الأخير، لم يحرص على تدوين ملاحظاته أو حتى تسجيل الجلسة كما فعل في المرة الأولى، تساءلت كارما هل أصبح آدم حالته الخاصة لتلك الدرجة، كم هو عظيم، طرب قلبها وهي تتابع حديثهما الجاد:

بتحب أخوك اللّه يرحمه يا آدم؟

هنا لأول مرة يلتفت إليه:

نوح ماماتش، نوح لسه عايش.

ارتبك آسر وهو يزدرد ريقه:

طب فاكر آخر مرة شُفته كان إمتى؟

ضيَّقَ مابين حاجبيه مستغربًا..



ثم أظلم المكان كله، خمدت جميع الأصوات فجأة، صوت التلفاز والمكيف وصوت الأنفاس كذلك، على أثر انقطاع الكهرباء عن الشارع، ظهر ذلك من خلال زجاج العيادة المُطِل على الخارج، أظلمت نوافذ البنايات المقابلة، لا ضوء سوى سناء القمر، لوهلة شعر آسر بمن يمرق بجانبه مسرعًا، خطوات أقدام تجري ثم...

صرخة

أتبعها صوت آدم (ماتخافيش يا ماما، ده أنا) أجفل آسر للحظات حتى أدرك أن مصدرها كارما.

كارما إنتِ بخير؟

أنا كويسة، مفيش حاجة.

قالتها بصوت مختنق، استرد آسر أنفاسه، أضاء هاتفه وفتح نوافذ الحجرة ليهُبَّ الهواء إليها كرئة عطشة، ثم شرع يبحث عن كشَّافٍ للطوارئ أو شمعة أو شيء من هذا القبيل يصلح للاستعمال للمواقف تلك، لكنه لم يجد، تصبَّبَ العرَقُ على جبينه وذقنه، مسحَه بكم



قميصة غير عابئ ثم جلس أمامهما على المكتب على ضوء هاتفه، عيون ملتمعة ذعرًا ترمق الظلام، بينما بدأت تستجيب حدقات عيونهم للإضاءة الواهنة كما يحدث في الظلام، أصبحت محتويات الغرفة الكبيرة شبه مرئية، أبصر كارما وهي تحتضن ابنها الخائف، ودّ لو كان طفلًا ليروي قلبه الظمآن بدفء حضن كهذا، تذكّر يوم أن سمع بكاء أمّه في حجرتها، تذكّر كيف سألها عن سبب بكائها وأخبرته عن اشتياقها لأخيه المتوفي، استعادت ذاكرته أيضًا رده الطفولي البريء الجاد عليها، حينما ابتسم قائلًا في تلك الليلة:

ما تزعَّليش نفسك، أنا لما أكبر هبقى دكتور مشهور وهعمل أطفال مابيموتوش خالص.

قاطعت شروده زمجرة الهاتف إبانًا بنفاد طاقة بطاريته، أدرك صعوبة استكمال الجلسة، لكنهم معلقان بالطابق السابع والكشاف يبتلع طاقة الهاتف ابتلاعًا، لم يتبقَّ من قدرته على البقاء حيًا أكثر من خمس دقائق، حثّهم على المغادرة خلالها، أغلق النوافذ ثم غادروا العيادة، ناولها الهاتف، التقطته ثم أسرعت تهبط الدرج،



بينما استدار ليوصد باب العيادة بالمفتاح جيدًا، ثم أمسك بيدِ آدم وبينما يحاول تحسس خطواته في الظلام الدامس واللحاق بكرما أبصرها وهي تهبط الدرج ممسكة بيد.. آدم

(معاذ إزيك؟ إيه الأخبار)

كانت تلك الكلمات هي أول ما ظهرت ما إن ولج إلى حسابه الأزرق، وصل إليها أخيرًا، رقص قلبه طربًا، لم تُهدر محاولات بحثه عنها هدرًا، لكن كيف يكون ردُّها باردًا هكذا، أبعدَ عام من الاختفاء تسأله هكذا وبكل بساطة عن أخباره!، ثم فكرأنه ربما أرسلت كلماتها تحت ضغط رقابي ما، أو أنها قد اعتبرت ماضيهما تجربة وانتهت أو ربما..

تزوجت

اختلج قلبه مع هذا الاحتمال، قفزت أصابعه تهرول على لوحة المفاتيح:

(اتجوزتي؟!)



ظهر له مؤشر يفيد بأن الطرف الثاني يكتب شيئًا ما فأصدر لعنة غضب، وبعد عدة ثوانٍ:

(لا لسه)

هدأ ثم استشاط غضبًا، إجابة أكثر استفزازًا، قد تعني أنها لم تتزوج حتى الآن وقد تعني أنها لم تتزوج بعد وفي طريقها للأمر..

(فيه حد تاني؟)

ثوانٍ أخريات مرت عليه دهرًا:

(لا)

رقص قلبه طربًا وضخ بأوردته شرباتًا بدلًا من الدم، ثم عبس مرة أخرى..

(طب ليه بعدتي؟ وسافرتي ليه؟)

طال مؤشر الكتابة تلك المرة كثيرًا ثم...



(مش عايزين نتكلم في الماضي، خلينا في النهارده)

هز رأسه مؤيدًا وكأنها تجلس أمامه ثم كتب:

(ماشي، هترجعي إمتى؟)

(قريب إن شاء الله)

ثواني من الصمت المتبادل ثم أرسلَت:

(سلام)

يقولون إن الوحدة والإبداع متلازمان، كلما كان المبدع وحيدًا كلما كان أكثر ابتكارًا، بغرفته يجلس (ذاكر)، لا يتذكر سبب وحدته حتى، هو تفاجأ بانفراده بالمنزل وحده، يعلم أن لديه ابن مجند ويقبع بوحدته العسكرية ولا يدري أن ما يفصله عنه سوى جدار الغرفة، هو أيضًا واثق بوجود ابنة وحفيد في حياته، لكن أين هما الآن؟

لا يدري..



متيقن تمام اليقين أنهما لا بُدَّ أبلغاه بوجهتهما لكنه نسي، وعلى أية حال، لم يعد النسيان يؤلمه كسابق عهده، فقد اعتاد عليه، بل أحبَّه، فمن في مثل سنه لا يحتاج لذاكرة، يجلس في مرسمه أمام لوحة بيضاء، ممسكًا بفرشاته ينتظر الوحي..

غالبًا الإلهام كالعِقد، ما إن تجذب أولى حباته حتى تنفرط خلفه الباقيات، لذا دبَّ فرشاته في اللون الأحمر، لا يدري لمَ هو تحديدًا، لكنه فعل، ثم رسم دائرة منتظمة الاستدارة في منتصف اللوحة البيضاء، ابتسم وكأنه حقق إنجازًا، بدّل فرشاته بأخرى ثم غمسها في اللون الأسود تلك المرة، وبنقرة خفيفة صنع نقطة في منتصف الدائرة، توقف بغتة ثم نهض لينظر إلى المرآة، اعتاد حين تتوه منه الأفكار أن يطالع نفسه فيها وكأنه يتذكر شخصه، هيئته، قسماته، عينيه، ذقنه، أمسك بكوب الماء البارد وابتلعه جرعة واحدة، بينما لم يزل ناظرًا لوجهه في المرآة عاد لمجلسه صوب اللوحة الحائرة وهمّ لاستكمالها، سمع نقر باب غرفته ومن خلفه نداء آدم



أنا جيت يا جدو.

ابتسم دون أن يلتفت:

حمد الله على سلامتك يا روح جدو، جيبتلي إيه معاك؟

سمع صرير الباب يُفتَح، فاستدار ليبصر الفراغ..

لا أحد

رفع صوته مناديًا:

آدم..

فارتدَّ إليه نداؤه صمتًا..

رفع حاجبيه وابتسم، فكر بأن دواء الزهايمر له أعراض جانبية أخرى، أطلق ضحكة عالية واستدار للوحته ليجدها بيضاء تمامًا كذاكرته، ثم أمسكَ بالفرشاة وبدأ بالرسم.

ما إن دلف آسر إلى شقته حتى خلع عنه جميع ملابسه وعلقها على حامل الستارة التي تعلو حوض الاستحمام، قبل أن ينزلق داخله ويدير مقبض الماء ليمطر جسده بقطرات باردة يطفئ بها حرارة خوفه، أغلق عينيه ثم غرق في تفاصيل الجلسة، أصبح آدم يُخيفه حقًا، يثير بداخله هواجس لم يشعر بها من قبل، وخجل من الاعتراف بالأمر لكارما..

كيف لمن في عمره أن يخشى مجرد طفل!

حتى وإن كان ابن الشيطان ذاته..

ابن الشيطان؟!

توقف عند ذلك الوصف ليبتسم..

يبدو أن الأفلام التي شاهدها منذ صغره قد أثرت على عقله، نفض عن رأسه وساوسها، وربما انتقالي لهذا البيت قد شوَّش على تفكيري، أم تراه الحب هو من فعل تلك الاضطرابات!، هكذا فكَّرَ ثم سرعان ما تذكر ما رآه أثناء هبوط الدرج.



هو واثق بأنه رأى طفلًا يهبط بجانب كارما، حاول اللحاق بها ليتأكد لولا بطء نزول آدم بجانبه، هز رأسه، لكنه لم يجد أحدًا حين لحق بها، لا بُدَّ أنه الظلام الذي يفعل ببصرنا الأفاعيل، أو ربما هو تأثير الجلسة، أكد لنفسه توهم الأمر، لكنه لم يجد بدًا من الاعتراف بأن كل ما يحيط بهذا الطفل غريب حقًا.

هنا شعر بشيء يزحف على كَتِفِه الأيسر، ظنَّ في بادئ الأمر أنها قطرة ماء تشق طريقها على جسده، لكن لايوجد قطرة ماء بهذا الطول، انتفض فزعًا ليطفو الماء خارج الحوض، نهض واستدار ليجد السلسلة الفضية تزحف فوق كتفه بعد أن سقطت من جيب بنطاله.

كان جالسًا يشاهد فيلمًا قديمًا، ابتسم لبساطة الأداء والتفكير كذلك، أصدر هاتفه رنة، ألقى نظرة ليجد رسالة:

(معاذ)

(فيروز إزيك)

(الحمد لله)

(رُحتي فين آخر مرة)

(ماتشغلش بالك، المهم انت عامل إيه؟) فكَّر كثيرًا قبل أن يكتب:

(عايش)

ثوانٍ من الصمت ثم كتبَتْ:

(آخر أخبارك؟)

كتبَ:

(تعبان وتايه ووحشتيني ونفسي أشوفك وأحكيلك وجعي)

أنهى كتابة جملته ثم تراجع عن الضغط على زر إرسال، وضغط بدلًا منه زر المسح، ثم أرسل:



(الحمد لله، عايش

(أخبار جيشك إيه؟)

(خلاص، هانت)

كان ينوي أن يكتب لها أنه في طريقه لإنهاء فترة تجنيدة ثم بدء رحلة البحث عن عمل لولا أن قاطعه دخول أخته وابنها من الخارج، سألته عن حاله وحال والدهما، أجاب بأنه قد عاد منذ ربع الساعة فقط بعد عشاء قضاه مع أصدقاء الطفولة ووجده منعزلًا بمرسمه، اعتاد أن تقبِّلَه فور قدومها من الخارج، لكنها لم تفعل تلك المرة، نظر إلى عينيها فقرأ ضيقًا ما، سألها فحكت له عن آخر تطورات حالة آدم منذ رفض مدرسته لاستضافته مرورًا بتعرفهم على آسر، حتى وصلت لآخر جلسة والتي حضرا منها للتو، ظهر الغضب على وجهه وسألها كيف تذهب وحدها لطبيب في عيادته، خاصة أن اليوم هو الجمعة، ابتسمت:

ماتخافش، أختك بمِية راجل.



هدأ قليلًا..

وعملتي إيه؟

أجابت:

لا جديد..

ثم مطّت شفتيها بيأس، ربت على كتفها وهو يلقي نظرة على هاتفه:

مش هتسمعي بنصيحتي بقى؟

نظرت إليه بعينين ناعستين واهنتين ثم ابتسمت يائسة:

شكلي هسمع كلامك أخيرًا.



عصر اليوم التالي

أنهى آسر عمله وغادر المستشفى ليستقل سيارته ويتوجه إلى مول تجاري بمدينة نصر، صف سيارته في الجراج المخصّص للمول ثم ترجل ليتجول بين محلاته، يتوقف أمام واجهاتها يدقق النظر بحثًا عن هدية تصلح لكارما، لا يدري تحديدًا نوعها أو مسمّاها، هو فقط شعر برغبة في إهدائها تذكارًا، فكَّر في الدمي، النساء جميعهن يحبهنَّ، لكن لا، أحتاج لشيء أكثر نضجًا وأصغر حجمًا أيضًا، فكر في أنه قد تخجل كارما من إهدائها أمام والدها فلا داعي لإحراجها، سيشتري الأقيَم والأصغر حجمًا قدر الإمكان، توجه لمتجر بيع الإكسسوارات النسائية ودخل إليه، سأل البائعة، التي بادرته بابتسامة، عن هدية تصلح لسيدة، استفسرت منه عن عمرها.

35 سنة.

تجوّلت عيناها بين أركان المكان ثم توجهت لأحد الخزائن الزجاجية وفتحتها لتخرج لوحة عرض



مكسوة بالقطيفة، مثبت فوقها عدة أشكال وألوان من الدلايات النسائية، فضية وذهبية وحجرية، احتار بينها، هذا قلب مفرغ، وتلك نجمة لامعة، وأخرى مكتوب عليها كلمة حب، لا..

لا يجب أن يكون الأمر مباشرًا بتلك الطريقة، لفت نظره إحدى الدلايات المشكَّلَة على هيئة قرن فلفل من الكريستال لمسه بأنامله فأدرك برودته، ابتسم وهو يتخيله مغمدًا كالسيف بين شق صدرها، نظر إلى البائعة وقد حسم أمره:

هاخد ده..

سلسلة فضة تبقى أنسب له..

أومأ موافقًا.

انتقت سلسلة فضية لامعة لتثبت الدلاية بها ثم وضعتها بعلبة قطيفة كحلية اللون وناولته إياها.

مبروك.



نقدها ثمنها ثم شكرها وانصرف، وبينما هو متوجه لسيارته أخرج هاتفه واتصل بكارما، أجابت، سألها عن حالها وعن آدم.

الحمد لله.

ممكن آجي أزوركم النهارده؟

أنا آسفة يا آسر، بس أنا خارجة بالليل مع معاذ آخويا وآدم.

أدرك لأول مرة أمر أخيها، اضطرب قليلا شاعرًا بالإحراج من ردها وهو يعتصر هديته بيديه:

طيب، مفيش مشكلة، نخليها مرة تانية.

سألته:

تحب تيجي معانا؟

ابتسم..



آجي طبعًا، بس انتوا رايحين فين؟

رايحين لشيخ.

يقود آسر السيارة بينما يجلس عن يمينه معاذ ممسكًا بهاتفه الذكي، سبابته تلامس الشاشة، يتابع حسابه الأزرق باهتمامٍ..

أبناء القاهرة المدللون ليس لديهم اكتراث سوى بهاتفهم وبمنشورات تافهة لا قيمة لها، هكذا فكَّرَ آسر ولم يستطع التغلب على تهكمه لتخرج ابتسامة استهزاء فشلَ في إخفائها لكنه حمد الله أن أحدًا لم يلاحظها، برغم كونِه واحدًا يملك حسابًا أزرقًا هو الآخر، لكنه - وكطبيعة أبناء الريف - تربيتهم الصلبة وزرع الصرامة في نفوسهم تسقطهما دائمًا في براثن الاستهزاء من كل تصرف يتعلق بأبناء الحضر، ألقى نظرة في مرآة المنتصف لتلقي عيناه عيني كارما الجالسة خلفه تحتضن ابنها بينما تتظاهر بالانشغال بالطريق، تفكر كيف نجحت في إقناعه بمصاحبتها



لتلك الزيارة، طبيب نفسي ذو عقلية علمية لا يقتنع بسهولة بتلك الأشياء.

ياله من انتصارٍ!

رفض الاقتراح في البداية لكن أمام إصرارها لم يجد سوى قَبول المخاطرة معها، المهم أنها نجحت في إقناعه، وكم كانت سعيدة، لكنها تساءلت عن سِرِّ طلبِه لزيارتهم هل كان يريد تكرار دعوة العشاء مرة أخرى؟

هل لإبلاغي أمرٍ ما، للأسف لم تُسنح الفرصة لتسأله، كانت قلقةً على آدم تفكيرها فيه طغى عما دُونَه، لا تعلَمُ أن سببَ طلبِه يقبَعُ الآن في جيب سترته ينتظر اللحظة المناسبة للخروج، تحسَّس آسر جيبه وكأنه قرأ ما تفكر فيه، فارت تساؤلاته في رأسه هو الآخر، كيف انصاع لها بتلك البساطة، نعم هو رفض الأمر في البداية، لكنه استسلم في النهاية..

ولمَ لا!



تجربة جديدة ربما تضيف له شيئًا مبتكرًا، وربما تثبت له وجهة نظره، وأن شيوخ الدجل هؤلاء نصابون بالدرجة الأولى، لم يكن الحديث الأول بينه وبين معاذ مبشرًا، ردوده كانت جافة صلبة، لا يدري إن كانت تلك طبيعته، أم هو عدم قبول تجاهه، أم أن هناك أمرًا آخر، تغاضى عن ذلك الفتور إرضاءً لخاطر مَن تجلس خلفه، وربما الأمر لا يعدو أكثر من غيرة أخٍ على أخته الوحيدة.

يمين..

قالها معاذ وهو يشير بكفه الأيمن لأحد الشوارع الجانبية بمنطقة حلوان، حيث منزل الشيخ عبد الناصر، وهو والد أحد زملائه في الجيش، تعرَّفَ إليه أثناء قضاء خدمة لحراسة ليلية أمام أحد مباني وحدته العسكرية، حكى له معاذ ظروف ابن أخته المرضية ومن ثم أشار عليه صديقه (شهاب) بزيارة والده في فترة إجازته العسكرية، ورغم عدم اقتناعه التام، إلا أنه عرضَ الأمر عدة مرات على أخته، ترددت

كثيرًا، لكنها اقتنعت في النهاية، وربما ضاقت بها السبل وقررت خوض التجربة.

منزل متواضع، أثاثه بسيط، يجلسون في صالته برفقة شهاب الابن، وبعد عبارات الترحيب المتبادَلَة دعاهم للدخول إلى صومعة أبيه كما يَطلِقُ عليها تبعه آسر وكارما وآدم، بينما اكتفى معاذ بالجلوس بالصالة في انتظارهم ريثما ينتهوا مما أتوا من أجله، قدَّمَهم شهاب لأبيه ثم انصرف ليلحق بمعاذ في جلسته..

عبد الناصر أو الشيخ عبد الناصر كما يلقبه أهل المنطقة، رجلٌ تخطَّى الخمسين من المقدر لعمره، يعمل مدرسًا للغة العربية، شعره الأسود الداكن يتصل بذقن رفيعة حُددت بمحاذاة عظمتي فكه وكما نضع الكلمات الهامة بين قوسين لإبرازها، شكَّلَت ذقنه تلك الأقواس حولَ فمِه، فكانت الكلمات تَخرج رزينة مُتأنية، وعلى عكس شيوخ هذا المجال، كان بشوشًا باسمًا، بمجرد أن رآهم ترك من يده كتابًا كان يتفحصه، أعاد كامل اهتمامه لآدم، شرعت كارما في قص مأساة الابن من الميم إلى التاء، بينما انشغل آسر بتفحص الصومعة،



مكتبة تَحوي مئات الكتب ذات الأسماء غير الدارجة كُتِبَ بعضها بارزة، وبعضها محفورة على كعوبها، لفت انتباهه أحد الصفوف البعيدة عن متناول اليد، حوَتْ كتبًا لا تحمل أسماءً، بدت رثه مهترئة، اصفرت أطرافها، وانثنت حوافها من شدة القِدَم.

أنهت كارما كلامها وهي تنظر إلى الشيخ بعيون دامعة يملؤها الأمل في انتظار أولى كلماته التي ستُريحُها وتُعالِجُ الابنَ، لكنه لم يكن ينظر إليها، صوَّبَ نظراته تجاه آدم وكأنه يقرأه، كل هذا ويجلس الأخير غير مبالٍ، صامتًا مطرقًا رأسه، أخبرته أمه أنهم سيصطحبوه لشيخ لمعالجة مشكلة هو لا يعتبرها كذلك.

ما الضير في كونه يرى أخاه المتوفي ويحادثه؟

ألم يسأل أمه حين توفى عنه وأجابت باكية أنه لم يزل يحيا بيننا، إذًا أين المشكلة؟!

ما ذنبه في أنهم لا يرونه مثله؟



ما الخطأ في كونه يُحادِثُه ويتجاذب معه أطراف الحديث ولا أحد يسمعه سواه؟! ثم تساءلَ: مالي أسمعهم يولولون وينتحبون شوقًا لأُناسٍ رحلوا، وحين يعودون إليهم ينزعجون؟

فوالله وإن مُتُّ لأحتجبن عنهم ولن أزورهم كما يفعل أخي نوح..

انتزعته أنامل الشيخ الباردة من تفكيره حين لامست جبهته ليرفع عينيه دون أن تهتز له شعره، حدج الشيخ بنظراته ثم تسلل الخوف إلى قلبه، فيمَ يفكر هذا الرجل؟ وماذا ينوي فعله؟ انزلقت عيناه يسارًا صوب آسر الذي بادره بابتسامة مطمئنة، ولأول مرة يبادله الابتسام، وبرغم أن فمه لم ينفرج سوى مللي واحدٍ، إلا أنها بدت ابتسامة صادقة، دبت الطمأنينة في قلبه، شرع الشيخ يتمتم بكلمات غير مفهومة، خرجت همسًا فلم يتبين الحاضرون كنهها، تدريجيًا ازداد ضغط أصابعه على رأس آدم حتى بدت عروق ظهر كفيه، أغمض عينيه بينما ارتفع صوت غمغماته لتصبح مسموعةً لكن ظلت غير مفهومة في النهاية، ارتخت



أجفان آدم وشعر بثقل ينحدر فوق رأسه وانساب الخدر لعقله فتراخى جسده وتراجع تجاه مسند المقعد، لا تدري إن كان هو من يتراجع أم أن يدَ الشيخ هي التي تدفعه للخلف، أُسدلت أجفانه كالستار على عينيه وسكن تمامًا ليرفع عبد الناصر يديه عن رأسه ويتنفس الصعداء وتراخى جبينه المُقطب ثم..

دي شكلها بتتسلي، سيبك منها..

أتمَّ شهاب جملته لينظر إليه معاذ وكأن كلماته صدمته..

لديه الحق فعلًا فيما قال، مراوغتُها ومماطلتها في الكلام معه لا تعني سوى أنها لا تريده، لكن لماذا تتواصل معه طالما الأمر كذلك؟ سأل شهاب ليجيبه:

ما انا قولتلك بتتسلى، لحد ما ربنا يرزقها بحد يناسب طموحها ومستوى أهلها.

بس أنا حاسس إن الموضوع فيه ضغط من نوع ما.



ضغط؟!

آه، من أهلها، لكن هي عايزاني.

اقترب شهاب منه ثم ربَّت على كتفه:

يبقى تواجهها، خليك واضح معاها وأنهى الموقف مباشرة أو على الأقل اسألها عن إحساسها ناحيتك وعلى أساسه حدِّد هتعمل إيه، التعليقة اللي انت فيها دي مش هتضيَّع حد غيرك، في بنات بيحبوا إسلوب المراوغات ده، لا هي بتحبك ولا بتكرهك، لكن في نفس الوقت مش قادرة تتخيل إن فيه واحد مابيفكرش فيها، حتى لو كان الواحد ده مش فارق معاها، عايزين بس شغف العلاقات اللي في البداية، مش عايزين ينتقلوا للمرحلة اللي بعده، لأن في الأغلب شغف البدايات ده بيبقى الأكثر حبًا واهتمامًا، وبمجرد ما بيخلص، الحرارة بتقل والمشاعر بتبرد، خلاصة الكلام، واجهها وهيبان.

استغرق معاذ في أفكاره، كلمات صديقه الأخيرة فتحت أبواب الجحيم لظنونه، لم يستطع معارضته فيما قال، هو يثق في شهاب منذ أن تعرف إليه في الجيش، حتى كثيرًا ما تساءَلَ كيف استطاع إقناعه بإحضار آدم إليه، وهو لم يكن يومًا يُصدِّقُ بما يفعله الشيوخ أمثال أبيه، ومن ثم نجح في إقناع أخته هي الأخرى.

مرَّ ما يَقرُب من ساعتين على بدء جلسة آدم، فهمَّ بسؤال شهاب عن سر التأخير، لكن سبقته صرخة..

صرخة مصدرها..

أخته تحديدًا...

انفجر الباب إثر دخول معاذ القوي، ليجد آدم جالسًا على كرسي في منتصف الحجرة يمسك بيديه المسندين، بينما تصلبت رقبته لأعلى جاحظ النظرات صوب سقف الغرفة بفمٍ مرتعشٍ منقطعِ الأنفاس وقد احمرَّ وجهه احتقانًا، وكارما جاثية على ركبتيها بجانبه،

تمسّد يده بكفها وتنادي عليه بصوت متحشرج على وشك البكاء، بينما تراجع آسر لأحد أركان الغرفة ذاهلًا ينقل بصره كبندول الساعة بين آدم والشيخ الذي لم يبرح مقعده المقابل لمقعد الطفل وقد علا وجهه أغرب تعبير قد تراه في حياتك، غريبًا حتى لشهاب ابنه ذاته، الذي أقسمَ أنه لم يرَه على وجه أبيه من قبل، جثا معاذ بالجانب الآخر لآدم، يربت بيده على كتفه الأيسر هنا سحب آدم نفسا عميقًا وعادت رئتيه تؤديان عملهما مرة أخرى ثم أجهش بالبكاء.

قفز الشيخ من مقعده ليجثو هو الآخر أمام آدم تلك المرة لتنظر إليه كارما بدموع أُفلِتَت من مقلتيها تسأله عن ما حدث، لم يُعِرها انتباهًا، وكأنه يجلس منفردًا بالطفل وحده، أطال النظر إلى عينيه وجبهته ثم انزلق ببصره تجاه يده اليسرى، أمسك بها ثم قلَبَها ليلقي نظرة على كفه، التقط اليد الأخرى وكرر ما فعل..

ثم فجأة..

قبض على فك آدم ضاغطًا بغِلٍّ، مجبرًا إياه على فتحه:



- وريني لسانك..

صاح فيه فلم يتردَّدْ آدم لحظة، أخرج لسانه في خوف ليطالعه الرجل ثم يتراجع إلى الخلف بغتة، هرع إلى مكتبه ليجذب أحد الأدراج فتسقط محتوياته بالكامل أرضًا، التقط من بينها كاميرا فوتوغرافية وعاد مرة أخرى ليلتقط صورًا لكفيه، لكن كارما تنهض فتدفعه بقوة وتجذب يد ابنها وتغادر الحجرة ويتبعها آسر ومعاذ ليلحِقا بهما.

في طريق العودة

الواحدة بعد منتصف الليل تحديدًا

مرورًا بكورنيش النيل، أوقف آسر سيارته فجأةً بمحاذاة الرصيف، نظر لاحدى المراكب النيلية تغطيها لمبات متلألئة الأضواء، يصدر عنها صوت أغنية شعبية، التقت عيناه بعيني كارما عبر مرآة السيارة موجهًا كلامه لآدم:

تحب تركب مركب يا آدم؟

قفز واقفًا من مجلسه وبعينين ملتمعتين فرحًا:

الله، ياريت.

رأت كارما فرحته فلم تستطع الرفض، مالت برأسها للأمام وسألت أخاها عن رأيه، فلم يمانع، ترجلوا جميعًا من السيارة، تقدموا صوب السلم النازل حيث مَرسى المراكب، توقف آسر لثانيتين يتلفت حوله بحثًا عن شًرطي مرور فلم يجد أحدًا في ذلك التوقيت فاطمأن



ولحق بهم، حمل آدم على ذراعيه فضحك، بينما تقدم معاذ ممسكًا بيد أخته يعبران الممشى الخشبي المتأرجح، رآها آسر تخطو منكمشة خائفة فابتسم، استقبلهم قائد المركب بعبارات الترحيب وكأنه لم يكن يتوقع زبائن في ذلك الوقت..

انطلق المركب تلطم مقدمته أمواج النيل حالكة السواد، لم يكن متواجد معهم على ظهر المركب سوى أسرة مكونة من أبٍ وأمٍ وثلاثة أطفال انهمكوا في الرقص ومن ثم السقوط مرارًا من أثر تمايل المركب، الأمر الذي لم يزيد سوى فرحهم وتعالت ضحكات الأب وهو يمسك بقرطاس لب، يلتقط منه بعضه ويقذفه في فمه، بينما اكتفت الأم بمتابعه أبنائها في قلق خوفًا عليهم من تحركاتهم العشوائية، انشغل آدم بمتابعة المشهد بينما قطعت كارما صمتهم تسأل أخاها:

إنت واثق في زميلك شهاب يا معاذ؟

التفت إليها سائلًا عن سبب ما تقول، قالت له إن ما رأته هي وآسر هو ما دعاها لقولها هذا، سألها عن ما



رأته نظرت إلى ابنها فعادوا للصمت مرة أخرى، نهض معاذ وأمسك بيد آدم وجذبه ليبتعدا عن كارما وآسر ويقترب من الأسرة البسيطة، دار نقاشٌ بين معاذ وأحد الأطفال ليبتسم الطفل ويمد يده لآدم داعيًا إياه لمشاركتهم اللهو والنقر بأحذيتهم فوق أرضية المركب الخشبية.

تابع آسر كارما التي سرحت في الماء واستغرقت في تفكيرٍ مضنٍ، كانت الزيارة الأولى لشيخ كهذا، كانت معلوماتها عنهم لا تتجاوز ما تراه في التلفاز، لكنها اليوم رأت الأمر على طبيعته، هالها ما شاهدته وسمعته، تعاويذ وأذكار ومسميات لم تقابلها يومًا، أصابت ابنها بتشنجات حتى ظنَّت أنه يحتضر، امتعضت وهي تسترجِعُ كُلَّ هذا ثم حلَّ القلق مكان الامتعاض حينما تذكرت ملامح عبد الناصر وهو ينظر لابنها، يا ترى ما سر تلك النظرة؟!

هل شاهد ما لم يشاهده غيره؟

هل اكتشف أمرًا خطيرًا؟



أشرٌّ يُحيطُ بآدم ولم يشأ مصارحتها؟

لَم يطمئنهم للأسف، أو لو تحرّينا الدقة، هي لم تعطه الفرصة لذلك، جذبت ابنها وغادرت في منتصف الجلسة قبل حتى أن تفهَم، هبّ هواء تطاير على أثره حجابها وأجبرها على تضييق عينيها.

بتفكري في إيه؟

انتزعها صوت آسر، تنهدت طويلًا قبل أن تُجيبه وهي ما زالت شاردة:

في الدنيا الظالمة، ما سِبتليش حاجة إلا وشوّهتها، من صغري وهي معاندة معايا، لما كنت طفلة ولما دخلت المدرسة والكلية، حتى لما اتجوزت ضحكة مريرة وكأنها حالفة عليا، عارف اللي بيقولوا عليه ابن موت؟! أنا بقى بنت هَمّ.

مرَّ مركب آخر بجانبهما فنظرا إليه ليبصرا شابًا وفتاة جالسين متشابكي الأيدي، يتهامسان سرًّا، لكن آسر شعر وكأنه يسمع كلماتهما بوضوح، يقولون إن همس



الأحبة أعلى من صخب الحياه ذاتها، ابتعد المركب ليعاودا حديثهما، سألها:

كان بيحبك؟

جدًا..

وانتِ؟

حبيته جدًا.

سكت متحيرًا قبل أن يعاود السؤال:

هو ممكن الإنسان يحب تاني؟

أجابت دون تردُّد:

وعاشر..

استرسلت:

الحياة من غير حب لا تطاق، مش متخيلة حياتي من غير حد بيحبني أو يخاف عليّا، يقلق لو اتأخرت،



يطبطب عليًا في زعلي، يُحضني وقت جنوني

ابتسم آسر:

بس الحقيقة موضوع الحضن ده مش متاح في كل الأوقات.

الحضن ممكن يكون كلمه أو حتى نظرة من بعيد مش شرط يبقى مباشر.

هز رأسه مؤيدًا ثم أطال النظر تجاه معاذ الذي استقرَّ على أحد مقاعد المركب المنزو يطالع هاتفه ويبدو عليه الهم، سألها:

معاذ ماله؟

ضحكت مجيبة:

أخويا، لازم يبقى ابن هم برضو، نتيجه طبيعية جدًا.

هنا التفت إليهما معاذ وكأنه سمع حديثهما:



هو انتي عيد ميلادك كان إمبارح؟!

بإيماءة واهنة أجابته بنعم، اقترب منها واحتضنها وقبَّلَ جبهتها:

أنا آسف، كل مليون سنة وانتي سندي وضهري.

تحسس آسر جيبه وتمتم مبتسمًا:

سبحان اللّٰه..



الثالثة فجرًا..

انطلق صوت الهاتف لتفْزَع كارما من نومها العميق، تقضي ثواني معدودة لاستعادة توازنها تنظر لهاتفها الذي شق ضوءه ظلام الغرفة واستقرعلى سقفها، تخرس صوته لتتدارك هدوءها، يهدأ صدرُها المضطربُ، تنظر لاسم المتصل..

آسر

ترددت ثوان قبل أن تجيبه ليُعاجِلُها:

كارما إنتِ فين؟

قالها بصوت مضطرب وأنفاس متهدجة..

إنت كويس؟

أنا متعلق في الأسانسير ياريت تيجي تساعديني.



ألقت بالهاتف ثم نهضت ترتدي ملابسها وتغادر حجرتها مسرعة، تلفتت يمنة ويسرة ثم تسللت على أطراف أصابعها، خارج الشقة كانت العتمة، عدا ضوء يطل من زجاج باب المصعد وصوت غناء يتسلل من داخله:

« بحلم معاك بسفينه وبموجه ترسينا.. ونبحر تاني»

بتؤدة اقتربت لتجذب الباب، انفتح لتجد ما لم تتوقعه، شموع متراصة على الأرض بمحاذاة جدران المصعد، بالونات ملونة مُعلقة في سقفه، قلب رُسم بورود حمراء في منتصف أرضيته في مركزه وضعت علبه قطيفة كحلية اللون، انحنت لينسدل شعرها وتكتشف أنها نسيت أن ترتدي حجابها، تزيحه بيدها وتلتقط العلبة، تفتحها ثم تبتسم، تنظر للهاتف المثبَّت في أحد أركان المصعد ويصدر عنه صوت الغناء فتدرك صاحبه:

كل سنة وانتي طيبة.



تلتفت للخلف لتجد آسر يقف مبتسمًا وينعكس ضوءُ الشموع على عينيه اللامعتين وأسنانه البيضاء، ألجمها الصمت، التقط العلبة من يدها، أخرج السلسلة، مدَّ يديه ليلفها حول رقبتها ثم يغلق المحبس، طوق بذراعه الأيمن خصرها وأمسك بيسراه يمناها، وشرعا في رقصه هادئة على صوت نجاة المنساب من عالم آخر ورائحة عطره الآسر..

«اسمك واسمي.. يا حبيبي.. مدينتي.. وحكايتي.. سكني وترحاااالي»

همست

واشمعنى الأسانسير؟!

أول مكان اتقابلنا فيه، فاكره؟

وعمري ما هنسى..

برهة من الصمت ثم سألته:



بس يعني شموع وورد وبلالين والحقيني.. ليه جو الغموض والتشويق وشغل الدكاترة النفسيين ده؟

وإيه الجديد! الغموض والتشويق هو تقريبًا العامل المشترك في كل مواقفي معاكم من يوم ما قابلتكم.

إنت مجنون.. مش خايف حد يشوفنا؟

هز رأسه نفيًا:

معاكي مابخافش..

هربت من عينيه خجلًا وهي تسأل:

طب إشمعنى الأغنية دي؟

عارفة؟ الأغنيه دي بالذات كانت بتخوفني لما بسمعها وانا صغير، بالرغم من رومانسية كلماتها.

طب اخترتها ليه؟



ما قولتلك، معاكي ما بخافش.. بتداري من خوفي فيكي.

أغمضت عينيها لثوانٍ ثم سحبت يدها، طالعته بنظرة أخيرة وصدرها لم يتوقف لحظة عن الاختلاج طربًا..

ربنا يخليك ليا.

ثم أسرعت عائدة لشقتها بينما ظل آسر واقفًا بابتسامة اختفت فور انقطاع الكهرباء، انتزع هاتفه من مكانه وأسرع عائدًا لشقته هو الآخر.



يوم الخميس الثالث عشر من نوفمبر

السابعة مساء اليوم التالي

اختار

نطقَها الشاب العشريني المسئول عن لعبة المحاكاة سُباعية الأبعاد، التي توقَّفَ أمامها آدم مبهور الحواس جميعِها، راغبًا في خوض التجربة التي تبدو من الملصقات الدعائية إنها ستكون مغامرة شيقة، أشار الشاب لثلاثةٍ من تلك الملصقات الدعائية ليخيِّره، أيهما يختار، بينما وقف من خلفه كارما وآسر في انتظار قراره، لاحظ الأخير حيرة الطفل، فسأل الشاب وهو ينظر لكارما بمغزى:

أطولهم إيه؟!

ابتسمت بخجل بينما أجابه:

panic house، مدتها تقريبًا خمس دقائق..



بدون تردد، نقده ثمن التذكره بينما أطلق آدم صيحه حماس وهو يجري إلى باب الغرفة المظلمة التي على وشك بدء عرض الفيلم المختار، وجد نفسه وحيدًا نظرًا لقلة الضغط على المركز التجاري في تلك الساعة، لكنه لم يمانع أو يتراجع، أجلسه الشاب على الكرسي الأوسط، أحكم النظارة متعددة الأبعاد على وجهه، شد حزام الكرسي المتحرك حول خصره، وبابتسامة تشجيع سأله:

جاهز؟

برم آدم أصابع كفه الأيمن جميعها عدا الإبهام الذي أشهره في وجه الشاب علامة الاستعداد، مُطلقًا صيحة حماس أخرى تُناسب شغفه كطفل.

غادر الفتى الغرفة بعد أن أوصد بابها السميك من خلفه ليسود الظلام في انتظار بدء العرض..



وفي الخارج..

استند آسر إلى الحائط يراقب كارما التي كانت تتابع الطفل من خلال الشاشة الخارجية التي تعرض ما يدور داخل الغرفة، شبح ابتسامة ظهر على وجهه حينما لاحظ سعادتها لحماس ابنها وشجاعته على خوض التجربة وحده، انقطاعه مؤخرًا عن مدرسته كاد أن يسبب له اكتئابًا، لولا أن استمعت لنصيحته بإطلاق سراح الطفل من عزلته، وممارسة حقه الطبيعي في الحياة بما يناسب مرحلته العمرية، التي تحتم عليه مسئولياتها، اللهو والترفيه عن نفسه ليس أكثر، نصيحة مُغلَّفة برغبة شخصية بالانفراد بها أكبر وقت ممكن، هكذا، نجده قد اتفق معها لاصطحابه إلى ذلك المول التجاري، لإسعاد الابن، ونفسه من قبله، هنا التفتت إليه لتقطع تسلسل حديثه الذاتي:

محتاجه أعدِل الإيشارب.

هه؟! آه.. تمام، تعالي أوصلك وأشتري قهوة أنا كمان.



ثم نادي على الفتى ليخبره بأنهما سيغيبان عنه برهة، طالبه الأخير بترك رقم هاتفه المحمول في حالة إن احتاجه، أملاه آسر الرقم ثم اصطحب كارما وابتعدا.

انهمكت كارما في تعديل وضع غطاء رأسها بيديها، بينما غاب عقلها وسافرت عيناها إلى ذلك المساء، استعادت تفاصيل ليلة المصعد التي لم تبرح مخيلتها لحظة، حيث رقصت لأول مرة في ذلك المكان، فلتت ضحكة خافتة منها حاولت مداراتها عن أعين من حولها، لو حكت لها إحداهن أنها راقصت حبيبها فوق الدرج وفجرًا تحديدًا، لاتهمتها بالعتَهِ والجنون، فشلت تلك المرة في مداراة ضحكتها حيث غطت المرايا جدران دورة المياه بالكامل، وبات من المستحيل إخفاء حتى نشوة العين، لكنها لم تبالِ، لحظات السعادة نادرة، فلتأخذ حريتها كيفما تشاء إذًا، فلتعلن عن نفسها بكل قوة وبلا ذَرة خجل، الخجل خلق حسن، لكنه يقتل أحيانًا أجمل ما فينا، عادت لذكراها مرة أخرى، كم كانت سعيدة تلك الليلة، تفكر هل لأحد أن جُنَّ مثلهما كما فعلًا لحظتها؟

تتذكر حين استفاقت من نومها صباح اليوم التالي بوجه مشرق وابتسامة حالمه، وهي تتساءل «أحقا حدث ما حدث بالأمس أم كان مجرد حلم رائع رواده من عالم سندريلا الوردي؟»

فيعاجلها القرن الكريستالي الرابض في ثنية نهدها، ويجيبها، نعم كان حقيقة، فترفعه وتُلثِّمه بشفتيها، تدرك بعد فترة أنها تحادث المرآة وأن ثَمة طفلة صغيرة تقف من خلفها بجوار أمها المنهمكة في إصلاح شيءٍ ما تنظر إليها في دهشة، تغلق كارما حقيبتها وتغادر دورة المياه لتجد آسر يقف مستندًا إلى الحائط المقابل في انتظارها ممسكًا بكوب من القهوة سريعة التجهيز، تبتسم في حياء في حين قام هو برفع نظارته بسبابته اليسري وتحركا عائدين، وأثناء سيرهما لاحظ انشغالها بواجهات المحلات التجارية ارتشف من الكوب قبل أن يسأل:

ينفع كده؟!

باندهاش:



ينفع إيه؟

نضيّع الخمس دقايق في الحمّام؟

تبتسم..

تعرف انك بتفكرتي برؤوف؟!

يضيق ما بين عينيه لتجيب اندهاشه:

أخويا الكبير، كان الوحيد اللي بيعرف يضحكني.

بس أنا ماقُلتش أي حاجة تضحك.

أمام رده العفوي تنفجر ضاحكة.

دي حقيقة، بس أنا لما بتوتر بقول أي كلام.

يبتسم وهو يرتشف آخر جرعة من الكوب قبل أن يُلقي به في الأسطوانة المعدنية المخصصة لذلك.

كلميني عن رؤوف..



تتلاشي ابتسامتها تدريجيًا قبل أن تسترسل في الحديث عن رؤوف، الأخ الثالث لهما، يعمل صيدلي، يقيم بالخارج لممارسة عمله أولًا، وللهروب من أبيه ثانيًا، لم تكن العلاقة بينهما جيدة يومًا، حكت له كم المشاحنات التي دارت بين رؤوف وأبيها للدرجة التي ساهمت -بعض الشيء- في وفاة أمها تأثرًا بحزنها المكتوم، على ابن متمردٍ وزوجٍ عنيدٍ، يرى دومًا وكعادة معظم الآباء، أن طريقة تفكيره هي الأصوب دائمًا وأبدًا ولا شيء سواها، كانت تهمس دومًا بأذنه بكلمات علي بن أبي طالب «لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم، فإنهم خُلِقوا لزمنٍ غيرِ زمانكم »

وكان يَصيح فيها «وسيده قال: كُلكُم راعٍ ومسئول عن رعيته» سيبيني أربي ولادي بطريقتي يا أم رؤوف»

لو راضيًا كان يناديها باسمها، رتيبة، وإذا غضِبَ يلقبها ب «أم رؤوف» وكأنه يعايرها بسلوكه الشائن، تتنهد كارما وهي تجبر نفسها على الابتسام:



أبونا كان بيحب جدنا جدًا لدرجة إنه سمانا بحروف اسمه، كرم.

لامس بأنامله اليمنى يدها اليسرى وهو يهمس:

تعرفي إنك جميلة حتى في حزنك.

أبطأت خُطواتها واجترأت لأول مرة لتنظر إليه مباشرة:

بالمناسبة، متشكرة على الهدية، إنت مش عارف فرقت معايا أدّ إيه.

لم يُجِبها وكأنه لم يسمعها من الأساس، فقد التفت إلى مصدر التجمهر أمام لعبة المحاكاة وأصابه أصوات الناس المتداخلة بتوتر جعله يشعر بأن هناك خطبًا ما.

متعلقًا تحديدًا ب..

آدم



ما إن رأت كارما المنظر حتى قطعت الأمتار المتبقية في جزءٍ من الثانية، ارتسم الهلع على وجه الشاب العشريني ما إن رآها تقترب منه، آدم مستلقٍ أرضًا غارقًا في إغماءةٍ، القت بحقيبتها وارتكزت على ركبتيها تهزه وهي تنظر إلى الفتى بغلٍ مكتوم والشرر يتطاير من عينيها وفمها:

عملت فيه ايه؟

بكلمات متوترة وحروف مختلجة:

أقسم بالله ما عملتله حاجة، أنا.. أنا دخلت عشان أطلعه لقيته في الحالة دي.

ربت آسر على كتفها، ووخز منتصف جبهة الطفل عدة مرات حتى بدأ في استعادة وعيه مرة أخرى، ثم أخذ يرتعش في فزع متمتمًا بكلماتٍ غير مفهومة ثم بدأ يهدأ حين أدرك وجود أمه بجانبه التي انهارت في بكاء محموم.

نبهت قلبي من غفوتة وجلت لي ستر أيامي الخوالي



كيف أنساها وقلبي لم يزل يسكن جنبي

على مقعده المفضَّل الذي كان شاغرًا في ذلك الوقت الذي تخطت عقارب ساعته المنهكة منتصف الليل بدقائق، جلس آسر يرتشف القهوة للمرة الرابعة على مدار اليوم، استحلب سيجاره بأطول قدر ممكن، زفر سحابة بيضاء كبيرة، سرعان ما تبددت أمام ناظريه ليحل محلها أحداث اليوم المتتابعة، كم هو سيء الحظ، هكذا مط شفتيه ثم ابتسم بحسرة، كلما اقترب خُطوة من كارما يحدث أمرٌ ما يباعد بينهما أمتارًا، رن هاتفه، تتصل به، أجابها سألته همسًا عن حاله، حمدَ اللّٰه وبادلها التساؤل، تنهدت وحمدت هي الأخرى، سألها عن سر الهمس أخبرته أنها ممدة على فراش آدم النائم بجانبها، لم ترغب في مفارقته تلك الليلة، وجهه الساكن حينما كان مغشيًا عليه لم يفارق مخيلتها، شعرت وكأنه عاد للحياة مرة أخرى، تسلل إلى مسامعها صوت أم كلثوم..

اللّٰه، بحب صوتها جدًا..



يا بختها.

ابتسمت بمشقة، سألها:

ماعرفتيش منه سبب اللي حصل النهارده؟

هو مش فاكر حاجة وماحبتش أضغط عليه.

خير ماتقلقيش.

سمع رنة، باعد الهاتف عن أذنه ليجد مكالمة من رقم مجهول تنتظر على الجانب الآخر، استأذنها لثوانٍ حتى يجيب المتصل، اندهشت من توقيت المكالمة لكن اندهاشته هو كانت أكبر حين أجاب ليجد فتى لعبة المحاكاة يحادثه باقتضاب غاضبٍ:

إنت عارف انت متصل الساعة كام؟! لو متصل علشان تطمن على الولد...

قاطعه:



يا فندم أنا متصل عشان حاجة أكبر من كده، رقم حضرتك عليه واتساب؟!

آه يا سيدي، خير؟!

هبعتلك فيديو ياريت تشوفه، وماتحاولش تكلمني تاني، أو حتى تجيلي الشغل لأني سِبته ومش هتلاقيني تاني وربنا يكفيني شركم.

حينما أتم الفتى جملته وأنهى المكالمة ظل آسري حدق في هاتفه مشدوهًا، لم تمر ثوانٍ حتى اهتز هاتفه مُعلنًا وصول رسالة، فتحها ليجد فيديو قصيرًا، نقر الشاشة بسبابته ليملأ الفيديو إطار الهاتف كاملًا، التصوير من كاميرا ثابتة في أحد الأركان تنقل صورة لغرفة لعبة المحاكاة من الداخل، تظهر إضاءة ثم تختفي من أثر فتح الباب وغلقه يتحرك أمام الشاشة طفل لا يبذل آسر جهدًا ليدرك أنه آدم، ويتبعه من خلفه الفتى العشريني، يستدير آدم ليجلس على أحد الكراسي فيواجه الكاميرا بوجهه، يُحكِمُ الشاب النظارة على وجهه، يشد حزام الأمان حول خصره، يحادث آدم



قبل أن يمنحه الأخير ابتسامة مصحوبة بعلامة الاستعداد من يده، يقترب الفتى من الكاميرا ليختفي تحتها، تظهر الإضاءة مرة أخرى ثم تختفي ويسود الظلام، ثوانٍ وينعكس ضوء الشاشة البيضاء على وجه آدم، يبدأ كرسيه في الاهتزاز، الميل يمينًا ويسارًا، يتدفق دخان أبيض من يسار الكاميرا، يلمح بريق أسنان آدم من أسفل النظارة يضحك، الفيديو صامت لكنه يصرخ توترًا، صنعته وسائل المحاكاة المزودة بها الغرفة، وفجأة..

ظهر رجل بظهره أمام الكاميرا يتقدم ببطءٍ تجاه آدم..

لمعرفة ما حدث من زاوية أخرى، دعونا ننقل الأحداث من الداخل..

آدم جالسًا فوق كرسيه يتابع بشغفٍ مايدور أمامه، من المفترض- وِفقًا للفيلم المختار- أنه داخل قصر مهجور، يمتلئ بالوحوش وهو يحاول إيجاد مخرج الخلاص منهم، يظهر مسخ يتحرك كالموتى الأحياء فتتحرك الصورة المعروضة وكأن الكاميرا تهرب منه

مسرعة، وتدخل غرفه أخرى، يهتز المقعد المتحرك الذي يجلس عليه آدم لمحاكاة حركة الكاميرا وزاوية عرض المشهد، تنظر الكاميرا لليمين فيلتفت المقعد لليمين بدوره، تنظر الكاميرا لأعلى، فينحني المقعد للخلف وهكذا...

غارق آدم في الأحداث حد الثمالة، تارة يشعر بالخوف حينما يقابل مسخًا وتارة ينفجر ضاحكًا حين ينجح في الهروب من الخطر وكأنه المتحكم في الأمر-..

يصدر ضحكات كانت لتكون مجلجلة لولا صوت السماعات المكبرة والمجسمة للمؤثرات التي تحاصره من جميع أركان الغرفة لإغراق صاحب التجربة في مغامرته.

نكمل ما يشاهده..

هو الآن في رواق طويل ينتهي بباب يتسلل من فرجته ضوء أحمر قانٍ، يرتفع صوت موسيقى تصويرية متوجسه لبث المزيد من التوتر، يغمض



الفتى عينيه في انتظار مصيره المحتوم، ينفجر الباب ليظهر مسخ يهرول ممسكًا ببلطة يقطر منها الدم فتهرب منه الكاميرا لغرفة أخرى وتهدأ وتيرة الموسيقى مرة أخرى ويطمئن معها آدم بعض الشيء، بتؤده يفتح عينيه تدريجيًّا ليجد شبح رجل يقف أمامه رجل يتشح بالأحمر، يخفي وجهه بوشاح أبيض، رفع يده اليمنى تجاه آدم، هنا استجمع الفتى شجاعته، لن أصرخ أو حتى أسمح للخوف أن يتسلل لداخلي، لا شيء مما أراه حقيقيٌّ، مجرد فيلم من الأفلام التي أشاهدها على قناتي الكريتونية المفضلة، لكن كانت اليد تلك المرة تبدو أقرب من اللازم وكأنها..

حقيقية!

الفزع يتعملق داخله أكثر وأكثر إلى أن شعر بقبضة تمسك به بالفعل..

ليسقط غائبًا عن الوعي تمامًا



حينما طال انتظار كارما لمكالمة آسر أطفأت هاتفها نهائيًا عن العمل، وكأنها قررت معاقبته على تجاهلها، انزلقت في الفراش بجانب آدم الذي غطَّ في نومٍ عميق، شعرت بحاجتها إليه، أحاطت رأسه بيسراها، لثمت خصلات شعره المنسدلة فوق جبهته، أراحت يمناها فوق صدره، اعتصرته بقوه مغمضة العينين وكأنه آخر من تبقى لها في تلك الحياة، استمعت لصوت أنفاسه، شعرت بالسكون وغابت عن كل ما يحيط بها..

وفي تلك اللحظة..

أطفأ آسر سيجارته العاشرة، شاردًا في عالمٍ آخر، فكَّر: ماذا يحدث لذلك الطفل؟

و ما سر ذلك الرجل الذي ظهر له؟ وما مبتغاه؟

هل يخبر كارما بما شاهده أم لا؟

رفع هاتفه نقر بإصبعه فوق الشاشة، ألصقه بأذنه لثوانٍ

«الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا»

أنزله ليعيده إلى جيبه مرة أخرى، وكأنه أُلهم بإجابة لتساؤله، لا، لن يخبرها حتى يكتشف بنفسه سر ما يحدث، رفع قدح القهوة على شفتيه ليكتشف فراغه حد تيبس تفل البن بقعره، التفت حوله ليجد المقهى قد فرغ من زبائنه ورُصَّت المقاعد بأحد الأركان فوق بعضها البعض، سافر الصبي في نومٍ عميقٍ، أخرج ورقة نقدية ودسّها في جيبه دون أن يقلقه، ثم رحل

سافرتي فين؟

كتبها معاذ وتردد قليلًا قبل الضغط على زر إرسال، اتخذ قراره وأرسلها، ثوانٍ مرت قبل أن يأتيه الرد:

الإمارات.

غريبة.

أرسلت له علامات استفهام.



عمرك ما فكرتي يوم في السفر .

خلينا نتفق على حاجة يا معاذ، أنا اتغيرت تمامًا عن زمان، اكتشفت أخطاء في طباعي وتفكيري وقررت أعدلها، لو قابلتني دلوقتي مش هتعرفني، فياريت بلاش تلومني أو تعاتبني على أي حاجة، لأني بقيت أكره أي حاجة بتفكرني بماضيّ.

صمت لبرهة محدقًا في كلماتها المتراصة فوق هاتفه قبل أن يكتب:

كل حاجة اتغيرت!.. كل حاجة؟

صمت متبادل بينهما دعاه لإلحاقه بجملة أخرى.

آسف، اعتبريني ماسألتش.



سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ..

لفظها ماجد وهو يمسك بهاتف آسر ويشاهد المقطع للمرة الخامسة على التوالي، عدَّلَ من وضع نظارته ثم انزلقت يده لتداعب لحيته وهو غارق في تفكير عميق التفت لآسر الجالس في استسلام رافعًا رأسه يحدق لسقف المعمل:

إنت متأكد من صحة الفيديو ده؟

أجابه دون أن يعدل من وضعه قيد أنملة.

وإيه مصلحة الواد في إنه يفبرك فيديو زي ده؟

هز رأسه وهو يحدق في شاشه الهاتف مره أخرى:

مش عارف، بس لازم نتأكد..

هنا التفت آسر إليه مستفسرًا ليستطرد:



هبعتك لمهندس جرافيكس صديقي عنده وحدة مونيتر يمكن يقدر يساعدك.



في المساء..

كان جالسًا كملك يباشر مهام حكمه في مملكته، غارقًا بين عدة شاشات متباينة الأحجام والوظائف في إضاءة خافتة، خلع ساعته، أهمل هاتفه الذي لم يكف لحظة عن الاهتزاز فوق المنضدة، منهمكًا أمام لوحة مفاتيح ضخمة بمثابة مكتبه، تحوي أزرارًا ومقابضَ تنزلق لأسفل، يضغط على زرًا هنا، يُمرر مقبضًا هناك، ينقل بصره بين الشاشات بتوتر وتتابع، تصدر صافرات خافتة من مكبرات الصوت التي تُغلِّف جدران الأستوديو من جميع الجهات، وبعد ما يقرب من الساعة أخيرًا أراح ظهره على مقعده الوثير معلنًا انتهاء عملية الفحص، دفع الأرض بقدمه ليدور الكرسي مائة وثمانين درجة ليواجه آسر الذي قرأ النتيجة في وجهه قبل أن ينطقها:

الفيديو حقيقي..

رنَّ هاتف آسر ليقطع لحظات شروده قبل أن يُجيبَه ليجد كارما تسأله عن مكانه ارتبك وهو يتمتم:



في مشوار.

بعدم اقتناع أجابت باقتضاب:

ترجع بالسلامة.

أغلقت كارما الهاتف وألف سؤال كالمنجانيق تطرق جدران رأسها، ما سر تغيره المفاجئ مؤخرًا؟

هل غيامة مِزاج متعكر كالتي تمر دومًا في سماء حياتنا وستنقشع قريبًا؟

هل متاعب عمل روتينيه ويخشى إثقال كاهلي بها؟ لكن من أخبره أن شكواه لي عبء!

مرحى بالمتاعب إن كانت منه، لاحت ابتسامة سرعان ما تحولت لجمودٍ وهي تستقبل المنجنيق الأخير لكن في قلبها تلك المرة.

أم هناك أخرى؟



انطفئت نظرة عينيها وهي تطرق رأسها حزنًا، انتفضت مع صوت الجرس الذي أعادها من شرودها، نظرت إلى الساعة المعلقة لتجدها تشير للتاسعة مساء تساءلت عن كنه ذلك الزائر، ما إن فتحت الباب حتى زال الاستغراب.

أستاذة دنيا أهلًا وسهلًا.

بابتسامة رقيقة بادرتها الزائرة:

بعتذر عن الحضور بدون اتصال وفي وقت متأخر زي ده، ممكن أطّمن على آدم؟

لم تكن زياره (دنيا) أمرًا مألوف بالنسبة إلى (كارما)، خاصةً في ذلك التوقيت المتأخر، لكنه كان أمرًا طبيعيًا ومتكررًا بالنسبة إلى (دنيا) نفسها بحكم عملها كاستشاري صحة نفسية متعاقدة مع إدارة المدرسة، مهمتها بحث حالات الطلبة التي تستلزم تدخُّل نفسي وتقويمي، جاءت بتكليف من إدارة المدرسة لمتابعة آخر تطورات حالة آدم وتحديد مدى قابلية عودته



للدراسة من عدمها، أيضًا محاولة استكشاف إن كان هناك ما يُريب حوله يخص أسرته أو البيئة التي يعيش بها، زيارة تحمِل شكوكًا صريحة تجاه أسرته حول إن كان لهم يد فيما وصل إليه، لذلك كانت المهمة، وكالمعتاد، تقضي أن تكون الزيارة مفاجئة وفي وقتٍ غيرِ متوقع، ليكون القرار النهائي حياديًا وأكثر مصداقية، بثبات انفعاليٍّ تام تجلس دنيا تراقب كارما التي بدا من كلامها غير المرتب وتعبيرات وجهها ويديها، وقع الزيارة عليها، فكرت كارما أنه من الجائز أن تكون إدارة المدرسة أرسلتها لتُبشِّرَها بعودةِ آدم مرة أخرى لمواصلة دراسته، لكن أُحبطت حين أدركت أن الأمر لم يكن ليستلزم إرسال استشاري نفسي، مكالمة هاتفية كانت كفيلة بالأمر، اعتراها قلقٌ مضاعفًا تلك اللحظة، ارتشفت دنيا من القهوة قبل أن تعتذر مرة أخرى عن الحضور في ذلك الوقت المتأخر وأخبرتها بتفاصيل المهمة التي وكلتها إدارة المدرسة إليها، دون الإفصاح عن شكوكهم، رشفت ما تبقى من الفنجان قبل أن تضعه شاكرة، سألتها:



أقرب واحد لآدم مين؟

جالت كارما بنظرها بعيدًا تفكر قبل أن تجيبها بابتسامة متوترة:

أنا طبعًا..

ثم سكتت برهه قبل أن تستدرك

وجِدّه.. آدم بيعشق جده وهو مثله الأعلى في كل حاجة.

اختلجت رموشها في انتظار السؤال التالي الذي كادت أن تلقيه دنيا لولا أن فتح باب إحدى الحجرات ليخرج الجد مرتديًا ثيابًا رثًا، لوثته بقع الألوان المختلفة، بدا كالمهرج بشعر أبيض مبعثر على جانبي رأسه بطول فوديه، ونعلٍ أبيض قديم:

أنا نازل أصلي العصر يا كارما.

حدقت دنيا في وجهها لتبادرها كارما:



هيصليه قضا.. عادي.

ابتلعت دنيا ريقها..

محتاجة أقعد مع آدم شوية

همت كارما لإحضاره لكنها توقفت بإشارة من يد دنيا:

لوحدنا..

بعد توانٍ من عدم الإدراك أشارت كارما لأحد الأبواب في صمتٍ، لتنهض دنيا وتتجه إليه، طرقت ولم تنتظر إجابة، أدارت المقبض وولجت إليه قبل أن تغلق الباب من خلفها ويعم المكان صمتٌ حذرٌ.

ما إن أغلقت الباب من خلفها، حتى شرعت تجول ببصرها بين أرجاء الغرفة التي بدت شبه مرتَّبة، تطالع أثاثها، تكوينها، ترتيب محتوياتها، استرعت انتباهها اللوحات المنتشرة على جدرانها، لمحت آدم من ظهره يجلس على الأرض متمتمًا ببعض الكلمات منكبًا على لوحة يرسم شيئًا ما، أقلام الألوان مبعثرة من حوله،



بينما إضاءة الأباجورة الخافتة على المكتب لم تُسعفها لرؤية ما يرسمه، ما إن انتبه لوجودها حتى همَّ واقفًا مقبلًا عليها، صافحها في حرارة وهو يعدل خصلة شعره المنسدلة على وجهه:

ميس دنيا، ازي حضرتك؟

بابتسامة أجابت:

أنا كويسة، عامل إيه يا آدم؟

الحمد لله.

أمسكت بيده لتدعوه إلى الجلوس معها على حافة سريره، انخرطت معه في حديث شيق عن أخبار المدرسة وزملائه، ورسائل الاشتياق منهم، ثم سألته:

عايز ترجع المدرسة تاني؟

نفسي يا ميس، المدرسة وحشتني أوي.

ربتت على كتفه:



يبقى لازم تجاوب على أسئلتي بصراحة.

هز رأسه موافقًا في حماس لتُلقي عليه بعض الأسئلة على غرار، ماما بتضربك؟ جدو بيخوفك؟ حد بيشتمك؟ بتتفرج على افلام رعب في التليفزيون؟ بتتفسح؟

أجاب تساؤلاتها بتلقائية وكانت الإجابات مطمئنة إلى حدٍّ كبيرٍ، شعرت معها برضا تامٍ، ربتت على كتفه

هترجع المدرسة يا آدم، وعد..

همت مغادرة ثم تجمدت فجأة، اقتربت من الرسمة الملقاة أرضًا، ثنت ركبتيها تحدق أكثر، ليعقب آدم من خلفها بفخرٍ:

إيه رأيك في الرسمة دي؟ لسه راسمها أنا ونوح أخويا.

جحظت عيناها وهي تنحني أرضًا لتشاهد عن قُرب اللوحة التي تظهر فتاة ممدة مفرودة الذراعين في استسلام بينما انفرجت ساقاها عن آخرهما، في حين

امتدت عدة أيادي متشابكة لأشخاص غير واضحين المعالم يعبثون بفرجها.

لم يكن ما قاله آدم أو ما شاهدته باللوحة هو سرُّ فزعها الرهيب، بل كان ما كتب فوق رأس تلك الفتاة المرسومة، ماسيجبرها آسفةً على الحنث بوعدها معه، حيث خطَّ آدم كلمة من أربعة حروف دبوا الذعر بداخلها، كلمة: «ماما»



صباح اليوم التالي

وناوي تعمل إيه؟

سؤال طرحَه ماجد وهو يراقب آسر المستسلم تمامًا أمامه، يجلس متشابك الأنامل وقد أسند رأسه على خزانة المعمل يفكر برهة قبل أن يجيب:

مش عارف.

فاضي بالليل؟!

التفت إليه مستفهمًا عن سبب تساؤله ليوضِّح:

هنزور صديق ساكن جنبي..

سأله آسر عن علاقة صديقه هذا بمشكلة آدم، أخبره بأنه يدعى «براء»، دكتور بمعهد السينما، لكن لديه اهتمامات أخرى، سأله عما يقصد باهتمامات أخرى، أجابه بأن لديه أبحاث تتعلق بالميتافيزيقا وعِلم الماورائيات، تشغله دائمًا فكرة الأرواح والآخرين،



يعتبر براء أحد أهم رواد المسجد الذي يصلي فيه ماجد، لا يترك فرضًا، في أوائل الصفوف دومًا، حكى له عن الجلسات التي كان يعقدها أحيانًا بعد صلاة المغرب ليلتف حوله المصلين بنظرات الإعجاب والانبهار بما يقول، يقص على مسامعهم حواديت غرائبية دائمًا ما كان يطعّمها بنظريات علمية قرأ عنها ودرسها، حفظه للقرآن وأحاديث الرسول وكلامه الحكيم الموزون كان ينأى به عن أي شبهة خرف أو جنون، كنت أنهي صلاتي وأستند لأحد أعمدة المسجد أتمتم بما يسّر الله به من أذكار، تلتقط أذني كلمة وتُسقط عشرًا، حتى شدني حديثه في مجلسه مع بعض الأشخاص ذات مرة، تساءلت عن كيفية اجتماع كل الفضائل السابقة مع شخص يعمل بمعهد السينما، فقررت الانضمام إليهم، اقتربت لأجلس خارج الدائرة، مستمتعًا لما يقول من باب الفضول الذي تحول يومًا بعد يوم إلى شغف، اهتمام ثم مواظبة وحرص على الحضور، أصبحت داخل الدائرة، اقتربت من مركزها، أمسى الملجأ والصديق لكل خائفٍ أو محتاجٍ لنصيحة من أهل المنطقة..



ثم ختم حديثه:

- لمَ لا نذهب إليه ونستشيره؟

هز آسر رأسه مؤيدًا:

نروح..

بس يا ترى هتصارحه بكل حاجة عن آدم.. ومامته؟

فكَّر آسر لبرهة قبل أن يجيبه:

هصارحة بالقدر الكافي اللي يقدر يساعدنا بيه.

محبطًا أخرج ماجد هاتفه واتصل به وبعد ثوانٍ من الصمت صاح مبتسمًا:

دكتور براء كيف الأحوال؟

سمع آسر الطرف الآخر يجيب:

الحمد لله دكتور ماجد، لا ينقصنا غير رؤياك.



جزاك الله خيرًا يا أستاذنا، كنت محتاج حضرتك في استشارة.

الله المستعان، نتقابل بعد صلاه العشاء ونتحدث بالمسجد.

هل لو بالإمكان أزورك أنا وصديق بعد الصلاة لأن الكلام هيبقى صعب بالمسجد.

بنبرة قلق:

خيرًا يا ماجد، قلقتني.

حكى له ماجد باختصار عن حالة آدم، أصغى براء تمامًا حتى أنهى حديثه ليبادره:

مستنيكم الساعة السابعة، لكن عندي طلب ضروري جدًّا، لازم تجيبوه معاكم.

اتفضل يا دكتور.

ثم...



ارتفع حاجبي ماجد وهو يستمع لطلبه الغريب.

منتظرٌ كصنمٍ وقف أمام باب الشقة يجمع شتات تفكيره كيف يبدأ وكيف يتعامل مع موقف كهذا، كوَّرَ قبضة يده ورفعها، تصلبت قبل أن تصل للباب، أغمض عينيه، سحبَ شهيقًا ثم طرق، ثوانٍ وفتحت كارما، تراجع آسر للخلف فزعًا، ارتبكت كارما حين تذكَّرَت طبقة ترطيب البشرة التي فردتها على وجهها بالكامل، هربت وهي تدعوه..

ادخل.

استعاد توازنه ثم ولجَ للداخل وأغلقَ الباب خلفَه، جلسَ على أقرب كرسي قابله، دقائق وعادت بعد أن أزالت الطبقة البيضاء، نظرات تساؤل عن سر الزيارة منها، مقابل نظرات ارتباك فشل في إخفائها، عاجلها:

كنت جاي أطمن على آدم.

التفت حوله..



هو صاحي؟

همت وهي تقول:

تواني أندهولك.

أمسك يدها ليتصلب جسدها في ارتباك، أفلتها وهو يقول:

أنا حابب أدخل أقعد معاه شوية.

هزت رأسها بسخط من كان يتوقع سببًا آخر للزيارة، هل حضر اليوم بعد تجاهُلِها اليومين الماضيين فقط ليطمئن على آدم، من أي طينة خلقك اللّه يا هذا؟

-الظاهر ماحدش بقى طايق يقعد معايا.

قالتها ثم نحت غضبها جانبًا، اتجهت لأحد الأدراج، أخرجت رسمة ابنها، مدت يدها تناوله إياها ونظرات التساؤل في عينه تحولت لدهشة حقيقية بددت ارتباكه وهو يسألها:



آدم؟!

هزت رأسها مُجيبةً، فعاد يحدق للورقة مرة أخرى أشارت بيدها لغرفة آدم تدعوه للدخول، أعاد الورقة إليها ثم تحرك مترددًا تجاه الغرفة، أمسك المقبض واستدار إليها متسائلًا:

إنتي زعلانة من حاجة؟

رفعت حاجبيها في دهشة غاضبة ثم استدارت منصرفة، أدار المقبض ودخل الغرفة ليجد آدم يجلس بفراشه يشاهد التلفاز، بنصف ابتسامة استقبل زائره بجانبه، سأله عن حاله أجابه باقتضاب:

كويس، بس زهقت من القاعدة، نفسي أخرج.

مسّد شعره وهو يشجعه:

أنا هخرجك، تحب تتفسح فين؟

نفسي أروح الملاهي.



أومأ برأسه:

اتفقنا..

تابع آدم مشاهدة الكارتون بينما تلفَّت آسر حوله يطالع الغرفة حتى استقرت عيناه على المكتب الخشبي، نظر للطفل:

ممكن تجيبلي أشرب يا حبيبي؟

دون أن يلتفت، مدَّ يده بجانب السرير وناوله زجاجة مياه، تناولها وشرب منها جرعة ثم أعادها محبطًا، بعد تفكير:

ماتيجي نلعب؟

بحماسٍ سأله آدم:

يا ريت، بس انت بتعرف تلعب إيه؟

أستغماية.



بامتعاضٍ:

دي لعبة عيالي أوي..

بإحراج اقترح آسر:

طب كل واحد يغمّي عنيه ويحاول يمسك التاني.

هز آدم رأسه موافقًا على مضض، التقط آسر تي شيرت أبيض معلّقًا، عقد ياقته ليغلق فتحه رأسه، ثم ألبسه لآدم المستسلم، قفز نحو المكتب فتح أدراجه بحرصٍ دون أن يصدر صوتًا، عبث بمحتوياته بحثًا عن شيء ما، بينما شرع آدم في القيام بالبحث عنه، أنزل قدميه على الأرض، فردَ ذراعيه أمامه يتحسس الفراغ، عثر أخيرًا على مبتغاه، وجد ألبوم صور يحوي لقطات لآدم في مراحل عمرية مختلفة، انتقى منه إحدى الصور، كما اشترط عليه الدكتور براء، انتقى صورة (متحركة) وتذكر حينما استفسر منه عن مقصده، أجابه بأن تكون تعبِّر عن حركة، ليست ثابته للطفل، دسها في جيبه وفي نفس اللحظة وصل إليه آدم



وأمسك بظهره، التفت إليه، ثنى ركبتيه واحتضنه وإذ بكارما تدخل لتجده يحتضن ابنها مغمض العينين، ضيقت ما بين حاجبيها في دهشة، هرع آسر مغادرًا الغرفة وقد سقطت من جيبه سلسلة فضية تتوسطها لؤلؤة بيضاء، انحنت كارما لتلتقطها وتنظر لباب الشقة الذي خلفه آسر من وراءه مفتوحًا.



كم هو مريح!

ما إن تراه حتى تقع في الإعجاب به، كاريزما، هي الكلمة الأنسب، أنهوا صلاة العشاء واصطحبهم لشقته، شقة متواضعة الأثاث، ثرية الطابع، مكتب عتيق مغطى بالصور الملون منها والأبيض والأسود، أباجورة نحاسية تتدلى منها لمبة واهنة تصنع ضوءًا خافتًا، راديو قديم ينبعث منه صوت موسيقى بيانو هادئة، مكتبة ضخمة تصل ما بين الأرض والسقف، طقطوقة خشبية مفرود فوقها رقعة شطرنج مربعة وعساكر منتشرة بين ملك ووزير أسودين في محاوَلة لصد هجمه نظائرهم البيض، دور لم يكتمل وكرسي وحيد أمام تلك الطقطوقة، هو يلاعب نفسه إذًا، هؤلاء من يتحدون أنفسهم هم الأقرب للجنون، تركهما وحيدان ليعد لهم شرابًا بينما تبادل آسر نظرات الانبهار مع ماجد الذي جلس مطأطئ الرأس، سأله آسر إن كان الدكتور براء هذا متزوجًا، أجابه همسًا (لا) وسكت، طالع المكتبة الضخمة التي تراصت فوق رفوفها كتبٌ، لمح من بينها شيئًا له بريق، ما إن هبّ واقفًا ليدنو منه،



حتى صاح به ماجد فعاد لمقعده مرة أخرى، دخل الدكتور براء يحمل صينية وضعها على المكتب وقدَّم لهما فنجاني شاي، ثم تناول الفنجان الثالث وجلس عاقدًا قدمًا فوق الأخرى، وبابتسامة هادئة وكلمات ودودة رحَّبَ بزيارتهما، بادله ماجد التحية بينما شرع آسر يرتشف مشروبه وهو يختلس النظرات إليه، رجل يبدو في أواخر الخمسينيات، شعر أسود تتخلله شعيرات قليلة بيضاء ونظارة مستديرة الإطار أضفت عليه وقارًا، يرتدي روبًا نبيتي اللون ويظهر من أسفله قميص أبيض وبنطال رمادي، ارتشف مشروبه على مهلٍ، ثم طالبهما بالتحدث فيما جاءا من أجله، أعاد آسر على مسامعه قضيتهم لكن بتفاصيل أكثر، لم يقاطعه حتى انتهى.

ممكن أطّلع على الفيديو المسجل؟

ناوله آدم هاتفه ليشاهد الفيديو، وبعد دقائق أعاد له الهاتف، خلع نظارته بيسراه ثم فرك عينيه بالأخرى، أخبره أن الفيديو لا يصلح..



لايصلح لإيه؟!

سأله آسر قبل أن يعيد براء نظارته إلى وجهه مرة أخرى وينهض مطالبًا إياهما باتباعه، تبادل آسر وماجد نظرات الدهشة.

جر براء مقعدين وثبتهما أمام الحائط الأبيض الخالي المواجه للمكتبة، دعاهما للانضمام إليه، نفَّذا على مضض، وبعد أن جلسا سألهما عن الصورة التي طلبها، أخرج آسر صورة آدم من جيبه وناوله، التقطها وغادر الغرفة وبعد عدة ثوانٍ عاد من دونها، أطفأ أنوار الغرفة ثم أغلق بابها لتسود عتمة الرحم، مدَّ آسر يده يعتصر يد ماجد الجالس بجانبه في رعب، سمعا صوت كرسي يُجَر ليستقر عليه مضيفهما بجانبهما، ثوانٍ من الصمت قبل أن يضاء الحائط الأبيض بشعاع فضي، نظر آسر خلفه ليجد مصدره تلك النقطة التي لمح بريقها بين الكتب منذ قليل، إذًا هي عدسة بروجيكتور على ما يبدو، بعد برهة ظهرت صورة آدم مجسده أمامهم، صورة قديمة يبدو فيها في سن الخامسة، في حديقة ما، يرتدي ملابس شتوية، متخذًا وضع الركض ضاحكًا



في اتجاه مصوِّرِه بأقصى سرعة حيث ظهر ذلك من شعره المتطاير ووضعية يديه المفرودتين أمامه، مرت أكثر من دقيقة وبراء كتمثالٍ صامتٍ يُشاهد الصورة بدقة، بينما آسر وماجد ينظران إليه في انتظار ما سيسفر عن التحديق لصورة كتلك طويلًا، تسلل إلى الأخير إحساس بأنه خُدع في الرجل، مؤكَّد هو مجنون يتخفى خلف قناع الحكمة والعبادة، شرع يفكر في عذرٍ مناسبٍ لاصطحاب صديقه ومغادرة المكان فورًا، لكن قطع تفكيره صوت براء وكأنه قرأ أفكاره:

اصبر يا ماجد.

نهضَ براء من مقعده، خلع عنه الروب ثم ألقى به على أحد المقاعد، وقف في مواجهة الحائط حتى حجب خياله جزء من الصورة، عقد كفيه خلف ظهره واستغرق في تفكيرٍ عميقٍ، ودون أن يلتفت وبلا أدنى اهتزاز يحدث، وكأنه يُلقي محاضرةً على تلاميذه أخبرهما بأنه..

منذ صغري تشغلني دومًا فكرة التصوير، أراه إعجازًا بشريًا بحقٍّ، فكرة أن تجمد لحظة من عمرك سعيدة كانت أو حزينة، كنت أفكر دومًا في خاطرة كلما أخبرت بها أحدهم اتهمني بالجنون والخرف، طالما استطاع الإنسان صنع آلةٍ لتجميد لحظة معينه لأشخاص أحياء يتنفسون ويتفاعلون فلا بُدَّ أنه قادرٌ على صُنع آلةٍ تستطيع تخزين شيء من روحهم أو كيانهم غير المرئي، قررت الاحتفاظ بتلك الفكرة داخلي، إعمالًا بمبدأ استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان، بدأت في المرحلة الثانوية بالقراءة عن كل شيء يخص فن التصوير، منذ نشأته وحتى تاريخنا هذا، ساعيًا خلفَ هدفٍ واحدٍ، إنهاء تلك المرحلة الدراسية والالتحاق بمعهد السينما، كم الكاميرات التي أفسدتها في محاولة فهم طبيعتها هائلٌ حقًّا، لكن تعلمت الكثير، سافرت إنجلترا في منحة تفوُّق، تعلمت أكثر، كنت مَثار إعجاب أساتذتي دومًا، حتى استطعت تطوير إحدى الكاميرات، بل وصناعة بروجيكتور بمواصفات خاصة جدًا، اختصارًا لتفاصيل كثيرة سأشرح فكرتي باقتضاب..



أمسك عن الكلام والتفت إليهما قبل أن يعود ويجلس على مقعده بجانبهما، هنا ظهرت هالة خضراء حول جسد آدم في الصورة، ثم خطوط رمادية متتابعة من الأعلى لأسفل، استطرد:

تعتمد فكرة الكاميرا على أن المصور المستخدم يرى من خلالها بالضبط المشهد الذي يراه الجزء الكيميائي الذي يقوم بدوره (الفيلم) الذي انتهى صلاحيته تلك الأيام، المهم الآن، الفيلم لا يسجل المشهد الملتقط فحسب، بل أيضًا تمتد اللقطة زمنيًا لعدة ثوانٍ أخرى، لكن وقت التحميض لا يظهر سوى اللقطة الأساسية، وتحتفظ الصورة المُحمضة بين جزيئاتها الكيميائية على اللقطات التالية التي لم تظهر، طوال حياتي كان شغلي الشاغل هو كيفية استخراج تلك اللقطات وتفريغ الطاقة الروحية التي تسكنها..

التمعت عيناه وهو يستطرد بأسلوب مسرحي:

وقد كان، استطعت صناعة تلك الآلة ولنسمها البروجيكتور الروحي.



أشار بأصبعه تجاه الحائط ليشاهدا ما يقصِدُه، ظهرت هالتان بيضاء وزرقاء لتنضم للهالة الخضراء، هنا حدث ما أصاب آسر وماجد بالدهشة حدَّ الجمود، فقد تحركت الصورة، هُم الآن يرون فعليًا آدم يركض ضاحكًا في اتجاه الكاميرا وكأنهما يشاهدان فيلمًا وليس لقطةً، لكن مدة المشهد لا تتجاوز العشر ثوانٍ، ما إن ينتهي حتى يعود من البداية، كأفلام شارلي شابلن القديمة بدائية الصنع، أو أقرب تشبيه مُعاصِر، كصور الـGIF التي تعرض لقطة قصيرة ومن ثم تكررها مرة أخرى دون توقف..

أخرجهما صوت براء من جمودهما وهو يستطرد:

استطعت بواسطة تلك الآلة إظهار الطاقة الروحية لصاحب الصورة، وكم أذهلني حقًّا الأمر عدة مرات مع أشخاص آخرين، رأيت ما لَم يرَه أحدٌ، لكن دعنا في أمر ذلك الطفل، الهالة الغائبة هنا هي الحمراء، وهذا أمر مبشر حقًا، فهذا يعني خلو صاحب الصورة من أي طاقة روحية سيئة، اضطراباته قد ترجع لأسباب أخرى، سكت وساد صمت لم يقطعه سوى صوت



الموسيقى المنبعث من الراديو، ماجد يداعب ذقنه في حيرة، كلام الرجل مُطمئِن لكنه يعني أنهم لم يتوصلوا لحقيقة ما يحدث لآدم بعد، نظر عن جانبه لآسر الذي انهمك في التفكير في أمرٍ ما، لم يقاطع تفكيره حتى نطق آسر أخيرًا وهو يخرج صورة من محفظته:

ممكن نجرب على الصورة دي؟!

التقط براء من يده صورته مع أمه:

على الرحب.

ثم غاب لثوانٍ ليعود ومعه صورة آدم ويجلس على مقعده مرة أخرى، ثوانٍ وظهرت صورة آسر وهو لم يزل طفلًا، يقف بجانب أمه التي احتضنت أخيه الرضيع بيمناها وإيشارب وردي لُفَّ حول عنقها بابتسامة باهتة، بينما هو أراح ذراعه الأيمن فوق كتفها ولامس بكفه الأيسر وجه أخيه، رفع نظارته عن وجهه ليمسح الدموع التي هربت رغمًا عنه من سجن عينيه،



ثم أعادها مرة أخرى، ظهرت هالات خضراء وبيضاء حولهم، هنا نطق الدكتور براء:

نفس الكلام ينطبق على الصورة، لا وجود لأي طاقة روحية سلبية.

أومأ آسر برأسه موافقًا ثم تحوَّلَت إيماءته لنظرة فزع وهو يشاهد مايحدث أمامه، تحركت الصورة ليظهر آسر مغادرًا الحجرة بينما حررت أمه الإيشارب من عنقها ثم.. حشرته في فم طفلها بعيون ماجنة.

في القهوة التي اعتاد آسر الجلوس فيها، كان قد مضى أكثر من ساعتين يحاول ماجد جذب أطراف الحديث معه لكنه غرق في تفكير صامت، وعيون دامعة محدقة في الظلام، يبحث عن تفسير لما فعلته أمه بأخيه، لماذا تُقدِمُ أم أي أمٍّ على التخلص من رضيعها بتلك القسوة؟

ما أخبرته به أمه وقتها أن أخاه أُصيبَ بضيق تنفس حاد أودى بحياته، لكنه اليوم وبعد مرور عشرات



الأعوام يكتشف الحقيقة، حقيقة أمه التي احتار بأي كلمة يصفها:

مجنونه؟ أم قاتله؟ أم... ساقطة؟

«هل تدرك ياسيدي الكريم ما معنى ألا يكون للإنسان مكان يذهب إليه!»

دوستويفسكي

ألقي آسر بجسده فوق مقعده بالقوة التي اهتزت معها السيارة، صفق بابها بعنفٍ، لحق به ماجد الذي جلس على المِقعد المجاور ينظر إليه بحثًا عن كلمة يبدأ بها حديث يليق بموقف كهذا، لكنه لم يجد فآثر الصمت وهو يرقب غضبه المكبوت، أول مرة يراه في تلك الحالة، ملتمس له كل الأعذار الممكنة وغير الممكنة، المقبول منها والمرفوض على حدٍ سواء، لو أنه في نفس الموقف لكان...

هز رأسه رافضًا الفكرة برمتها، الأمرُ حقًا فاق كل توقعاته، شقّ آسر طريقه بسرعةٍ متهورة، أخرج بيده اليمنى صورة أمه، لم يكترث لصورة آدم التي سقطت أسفل قدم ماجد، أمعن النظر إليها لثوانٍ وكأنه يراها لأول مرة، أعادها لجيبه مرة أخرى، خلع نظارته، فرك عينيه ثم أعادها لوضعها مرة أخرى، ضرب المقود

بيديه، دهس دواسة البنزين بأقصى قوته، ارتفع أزيز المحرك، سلك طريق السفر الزراعي ولم يجرؤ ماجد حتى على سؤاله..

إلى أين؟!

كم ودَّ لو ذهب إليها ودفن رأسه في صدرها وبكى كالطفل ليخبرها بكل شيء..

لكن..

ماذا يقول؟

وما يقال في مثل تلك المواقف؟

هل يخبرها أم..

يكمل ما بدأه؟!

على جانب الطريق الرئيسي بقرية تلبانة التابعة لمركز المنصورة أوقف آسر محرك سيارته وترجل ليتبعه ماجد، سلكا طريقًا زراعيًا ضيقًا وسط محصول في

انتظار الحصد، تعثَّر وهو يهرول في الظلام أكثر من مرة، ظهر من بعيدٍ كوخٌ خشبي مضيءٌ، يجلس أمامه شخصان على وجهيهما انعكاس لهب الحطب المشتعل، منهمكان في حديث ما، توقف آسر يسترق السمع، ومن خلفه مال ماجد بجذعه مرتكزًا براحتيه فوق ركبتيه يلتقط الأنفاس.

الشخص الأول شيخ عجوز، يرتدي جلبابًا وغطاء رأس بيضاوين، لحيته كثيفة وإن كانت مهذبةً، يُحادث شابًا في أمرٍ ما، يبدو الحديث وعظيًا من قسمات السأم على وجه الآخير، يولي الشيخ جسده واهتمامه بالكامل للفتى الذي انهمك -ادعاءً- في تأجيج نار الحطب.

يابا بقولك مش حاسسها، حاسس إن بالها مشغول بحد تاني.

لمعت عيني الشيخ وهو يدنو أكثر من وجه ابنه:

إنت عارف الكلام ده ممكن يودّي لفين يا طه؟!

عارف يابا، بس أنا كمان..

بتر عبارته فور سماع صوت رنة هاتف صدرت من بعيد، نزع بندقيته الراقدة بجانبه وبمجرد أن هبَّ واقفًا ظهر له صاحب الصوت:

إزيك يا طه!

انضم آسر وماجد لجلسة الشيخ إحسان وولده، ليلتفوا جميعًا حول راكية النار، انشغل الأخير في تثبيت براد الشاي فوق الحطب، ربت الشيخ فوق كتف آسر:

إوعاك تفكر في الست والدتك بالطريقة دي يا ابني، أنا اشتغلت مع المرحوم أبوك 30 سنة ماشُفت ولا سمعت كلمة سوء عنها عشان أصدق الباطل اللي بتحكيلي عنه ده، وبعدين إنت ماسمعتش كلام سيدنا النبي لما قال (إن أصحاب الصور يعذبون يوم القيامة، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم).

زفر آسر دخان سيجارته، ثم ألقى بها أرضًا ودهسها بطرف حذائه، وللمرة الثانية رنّ هاتفه باتصالٍ من

كارما، وللمرة الثانية يضغط على زر إلغاء المكالمة، نفسيًا غير مؤهل للتواصل معها وهذا ما استغربه، كيف لا يرغب في مجرد سماع صوتها وفي ذات الوقت يتمنى تفريغ شحنة حزنه وألمه معها!

هل هو استشعار للحرج من موقف شائك كهذا أم هو الحب الزائد الذي يمنعنا أحيانًا من إثقال كاهل أحبائنا بالمزيد من المشاكل، قطع صوت الرسالة القدمة عبر الإنترنت معركة أفكاره، ضغط أحد الأزرار ليقرأ:

«حاولت أكلمك علشان قلقلت عليك، لكن واضح إنك مشغول، الشقة مضلمة والعربية مش موجودة، ياريت تطمني عليك!»

بعجل ضغط عدة حروف ليكتب:

«أنا تمام بس لسه سهران في الشغل شوية.. تصبحي على خير»

ثم ضغط زر إرسال..

أنهت كارما قراءة الرسالة ثم ارتعشت شفتاها وهربت دمعة من عينيها وهي تقرأ الجملة الملحقة برسالة آسر وقد كُتِبَ:

(أُرسِلَتْ من المنصورة)

بخطوات حاول أن تبدو خافتة ارتقى آسر سلم العمارة وبشعر متهدل التصقت خصلاته بجبهته بفعل العرق الغزير رغم برودة الجو وصل إلى باب شقته، طعن الباب بالمفتاح ثم أداره بحذرٍ ليصدر صوتًا قبل أن يفتح، دخل يتحسس الحائط حتى وصل لزر الإضاءة، دفع الباب ليغلقه لولا أن امتدت يد من الخارج لتوقفه في اللحظة الأخيرة، زال اندهاشه بمجرد أن رأى وجه كارما، دعاها للدخول، دون تردد فعلت، ترك الباب مفتوحًا وبصوت مُنهَكٍ سألها عن سر استيقاظها حتى تلك الساعة المتأخرة، لاحظ انشغالها بما يحمله فوق كتفه ليخبرها:

دي كاميرا، هدية من واحد صاحبي.

نظرت إلى عينيه وهي تخرج سلسلة من جيبها:

صاحبك صاحب السلسلة دي؟

انتزعها منها منفعلًا:

جبتيها منين؟

هزت رأسها بابتسامةٍ ساخرة ثم استدارت مغادِرة لولا أن جمدتها صرخة قادمة من شقتها لثوانٍ قبل أن تستجمع شجاعتها وتهرول عائدة، بفزع دخلت غرفة آدم ولَحِق بها آسر حيث تصلبا أمام ما رأياه، آدم واقفٌ متراجع إلى الخلف بينما يده اليسرى ممتدة أمامه وشيء غير مرئي يشدها.

تحرك آسر ليضغط زر الإضاءة بكل قوته، وما إن أضاءت الغرفة حتى تحررت يده ليسقط أرضًا فوق ظهره باكيًا، ارتمت الأم لتحتضنه، بينما ظل آسر يتلفت حوله بحثًا عن..

عن أي شيء..

بصاله المنزل جلس الأربعة في صمت لم يعكره سوى صوت رشفات الشاي الساخن وطقطقة زر الكاميرا التي لم يكف آسر عن استخدامها، التقط عدة صور لحجرة آدم وكل ركن من أركان المنزل وسط نظرات الدهشة ممن حوله، كارما ألجمتها الصدمة الأخيرة عن النطق، فاكتفت باحتضان آدم الذي غطَّ في نوم عميق، بينما ظلَّ معاذ يرمقه بشك متوجس ولسان حاله يحذره:

(لا تحاول استفزاز رجل يحمل كاميرا عتيقة ويلتقط صورًا للجدران الفارغة، فهو بلا شك وصل لمرحلة لا بأس بها من الاختلال العقلي).

في حين جلس الجد في استياءٍ لا سبب له سوى استيقاظه في وقت متأخر كهذا من الليل، كانت كارما أول من قطعت الصمت لتسأله:

إنت بتعمل إيه؟

أخبرها بعيون زائغة:

مجرد إجراء روتيني للشرطة.

شرطة!

مش المفروض نبلَّغ؟!

عن إيه؟

حدق إليها قليلًا يفكر ثم أشاح بوجهه قبل أن ينهض مغادرًا، ترنح، فلتت الكاميرا من يده، التقطها في اللحظة الأخيرة والذعر يملأ عينيه، غادر دون أن يغلق الباب خلفه، تاركًا كارما وأخاها يتبادلان النظرات وصوت شخير الجد يُحلّق بعيدًا..

مداعبًا أزرار لوحة المفاتيح يجلس معاذ في انتظار رد على آخر رسالة أرسلها منذ ثلاثة أيام، يشعر بحركة من خلفه يلتفت ليجد كارما تقف مستندة على باب الغرفة وقد عقدت ذراعيها في نفاد صبرٍ بعد أن قرأت الحزن في عينيه، اقتربت منه وسحبت أحد المقاعد الخشبية وجلست بجانبه، اختزلت عباراتها المكرَّرة ونصائحها المستهلكة في جملة واحدة:

أنا مش هتكلم معاك تاني في الموضوع ده.

أومأ برأسه قبل أن يُطرقها في يأسٍ، كم تمنى لو وضع لصراع عقله المتسق مع كلام أخته ضد قلبه المتخاذل حدًا، يعلم تمامَ اليقين أنها مُحقة، لكنه كالمسحور يخطو درب الخذلان بلا إرادة، سألته عن إن كان مشغولًا يوم الأربعاء أم لا، هز رأسه نافيًا قبل أن يسألها عن السبب.

هنشوف عروسة.

كاد أن يعترض لولا أن قاطعته:

بقول هنشوف، لما ماتعجبكش ابقى اعترض.

أنهت جملتها وغادرت الغرفة لتتركه مطأطا الرأس في استسلامٍ، سيذهب، سيذهب فقط لإسكاتها، ثم ألقى نظرة أخيرة على المحادثة الصامتة في مرارة قبل أن يتمتم:

حرام عليكي.

ممددًا فوق الأريكة يشاهد التلفاز ممسكًا بيده جهاز التحكم يتنقل في ضجرٍ بين القنوات، بينما عقله غائبٌ عن الوجود، يتسلل من نافذة الحجرة صوت أحد الباعة، رنَّ جرس المنزل، أجفل قليلًا قبل أن ينهض بتكاسُلٍ، زحفت قدماه تمسح الأرض بحثًا عن شيء ينتعله فلم يجد.. مشى حافيًا، فتح الباب ليجد كارما واقفة بابتسامتها المعهودة، دعاها للدخول، دخلت وأغلقت الباب من خلفها، هالها الفوضى التي ضربت بكل أركان الشقة، جلس متربعًا فوق الكنبة في انتظار كلامها، ظلّت واقفة ولم تجلس، تنظر إليه بينما هو يتابع الفراغ، بنبرة لوم سألته:

وبعدين؟!

....

لإمتى هتفضل ساكت ومش عايز تقولي مالك؟

مفيش أنا كويس، كل الموضوع إن....

يا سيدي مش عايزة أعرف إيه الموضوع، أنا بس عايزة أعرف أخرجك من الموود السيء ده إزاي..

بابتسامة باهتة أجاب:

هبقى كويس، إن شاء الله هبقى كويس.

طيب على العموم أنا جاية أطلب منك خدمة.

اتفضلي..

يوم الأربع هنخطب لمعاذ ومحتاجينك معانا.

مبروك، بس أبقى معاكم بصفتي إيه؟

جالت ببصرها وهي تضَع سبابتها فوق شفتيها تبحث عن رد ما..

بصفتك جارنا، صديقنا، أخو معاذ الكبير، بأي صفة يا أخي، مواضيع الخطوبة والجواز دي بتبقى محتاجة حد دماغه كبيرة وبيعرف يقرا الناس ومش هلاقي أحسن من دكتور نفسي عظيم زيك.

ابتسم:

ألف مبروك وربنا يتممله بخير، يومها هبقى جاهزومستنيكم في العربية.

ابتسمت وبتلقائية ربة المنزل أخذت ترتب الوسائد المبعثرة وتمسح بمنديلها الورقي الأتربة التي سكنت سطح الأثاث وهي تقول:

تعرف! إنت محتاج تغيَّر جو، تخرج من دور الكآبة اللي انت فيه ده.

ثم توقفت عن التنظيف محدقة إلى عينيه وهي تسأله:

هو صحيح! آخر مرة رُحت المنصورة كانت إمتى؟

أشاح بوجهه وهو يجيب:

من فترة كبيرة..



شيكولولو

شيكولوو

ينتفض آسر فوق الآريكة من غفوة عميقة، يبتلع ريقة عدة مرات، يمسح أمطار العرق التي أغرقت جبهته، يمشي متثاقلًا حتى يصل للثلاجة، يخرج منها زجاجة ماء، يتجرعها عن آخرها، يُعيدها فارغة للرف، يعود ليجلس على الأريكة مرة أخرى، يظهر شبح ابتسامة على وجهه، أطربته ذكرى قديمة له مع أمه، اتسعت الابتسامة أكثر وهو يستعيدها:

شيكولولو

شيكولوو

دلعك للولد ده هيفسده..

تضحك الأم مُعقبة:

ده نور عيني.



يمسك آسر الكرة، يرميها ثم يهرول خلفها، يتعثر، يسقط، بإصرارٍ ينهض مرة أخرى، تناديه أمه، يمسك بكرته ويدنو منها تفتح ذراعيها فيتوقف على بعد سنتيمترات رافضًا العناق، تستجديه ضاربة بكفها الأيمن على صدرها، يهز رأسه رافضًا فتهمس:

شيكولولو..

يقطب جبينه مستفسرًا، لتكرر:

شيكولولو

يدنو منها أكثر ليتبين ما تقوله، تهمس بصوت خفيضٍ:

شيكولولو..

فيقرب أذنه من شفتيها ليسمع:

فتطبع على خده قبلة حانية وتضحك، يمسح موضع القبلة ويبتعد غاضبًا.

عدة أصوات متداخلة..

إوعاك تفكر في الست والدتك بالطريقة دي يا آسر يا ابني.

إن أصحاب الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خَلقتم.

يا سيدي مش عايزة أعرف إيه الموضوع، أنا بس عايزة أعرف أخرجك من المود السيء ده إزاي!

تعرف، إنت محتاج تغير جو، تخرج من دور الكآبة اللي انت فيه.

ينهض آسر وقد دب النشاط في أوصاله فجأة، يخلع عن جسده كامل لباسه، يندس أسفل الدش ليغرقه ماءً منعشًا، يخرج ليرتدي ملابس نظيفة، يهذب ذقنه بعد أن طالت بشكلٍ مُلفتٍ، يتعطر، يرتدي نظارته ويغادر الشقة متجهًا إلى المقهى الذي فارقه منذ فترة، يستقبله الفتى بابتسامة عريضة يسأله عن طلبه، يخبره:

قهوة مانو..



يصيح الفتى مُكررًا الطلب، يفرك آسر كفيه في حماس محادثًا ذاته:

(سأنهي تلك المأساة مثلما بدأتها، كفاني حزنًا على أمرٍ لا يستحق من البداية، لن أدع تلك الأفكار تستحوذ على تفكيري وتستنفد طاقتي، سأعيد ترتيب أولوياتي وأبدأ من جديدٍ، لا بأس، الحياة أجمل مما تبدو، لابأس، لابأس).

يعود الصبي ليضع حِمله:

أحلى قهوة مانو للباشا.

يسأله وهو يصُبُّ السائل الداكن عن سر فترة الغياب ليبادله آسر الابتسام وهو يجيب:

مشاغل، قولّي صحيح! ألاقي فين محل لعب أطفال في المنطقة؟!

الأربعاء

أمام المرآة يقف معاذ يُحكم ربطة العنق السوداء حول رقبته بعد أن تعطَّر بعطره المفضل الذي اشترته له أخته خصيصًا لتلك المناسبة، وبينما يطالع مظهره النهائي امتدت يدان من الخلف فوق كتفه تعدّل من ياقة القميص.. تطالع كارما مظهره في المرآة من خلف كتفه وقد علت وجهها ابتسامة حانية، ابتسامة أم تشاهد ابنها لأول مرة، وكانها فوجئت بكونه عريسًا، احتضنته من الخلف لتهرب دمعة من عينها..

أخيرًا هفرح بيك!

يربت على يديها المثبتتين فوق صدره:

هو خلاص، الأمر نفذ! إنتي قُلتي مجرد تعارف.

فكت تشابك يديها لتضربه على كتفه وتمسح دمعها.

يلا بلاش دلع علشان آسر مستنينا في العربية.



التفت ليواجهها:

وآسر هيجي معانا بصفته إيه؟

أهو يوصّلنا بدل ما نجيب حد غريب.

وطبعًا هيطلع معانا!

استدارت تغادر الغرفة وهي تقول:

يعني هنسيبه قاعد في العربية! إنت بتقول كلام غير منطقي.

ارتفع حاجباه دهشة وهو يتابعها:

لأ، عدّاكي العيب.

وفي الطريق اختلس آسر النظر لكارما التي تجلس خلفه وقد تزينت بما يليق بتلك المناسبة وكأنه يراها للمرة الأولى، يربت بيمناه على رجل والدها الجالس بجانبه:



ألف مبروك ياعم.. يا أستاذ ذاكر.

الله يبارك فيك يا ابني، عقبالك، إسم الكريم إيه؟

يختلس نظرة أخرى للخلف متمتًا وكأنه لم يسمع سوى (عقبالك).

قريب إن شاء الله.

ثم يخرج علبة أحد الألعاب ويهديها لآدم الذي تهللت أساريره على فوره صائحًا: (واااااو).

المنزل كبير لكنه مزدحم، أثار دهشة آسر كم الأشخاص المتواجدين، خاصة أن الموضوع لم يتجاوز التعارف، تساءلَ عن عدد الحاضرين في الفرح لو شاء القدير وأتمَّ الزيجة، جلس الأربعة في حجرة المعيشة مع والد ووالدة العروس ورجل كبير يبدو أحد أجدادها، بينما تراص في الصالة الكبيرة المفتوحة العديد من الأشخاص بين رجال ونساء وفتيات وأطفال، لاحت عدة تعبيرات على الوجوه بين ابتسامات ونظرات شغف تجاه العريس المنتظر، بينما تعالت عبارات



الترحيب والمجاملات بسبب وبدون، في حين يرد معاذ بعبارات مقتضبة، ممسكًا بعلبة الحلوى التي اشترته أخته، كارما تنظر إليه بنظرات ذات مغزًى، لكنه غير مدرك تمامًا لما تقصده، في النهاية مدت يدها تنتزع العلبة منه لتضعها على المنضدة:

حاجة بسيطة كده.

مال ذاكر على أذن كارما يسألها:

مين آسر ده يا كارما؟

اختصارًا للشرح أجابت باقتضاب:

ده صاحب معاذ يا بابا..

دخلت فتاة تحمل صينيةً محملةً بأطباق الحلويات الشرقية يبدو أنها العروسة من خجلها البادي وأناقة ملابسها المبالغ فيها، طافت حول المنضدة توزع الأطباق على الجالسين، وضعت الصينية الفارغة ثم أعادت الطواف مرة أخرى لتُصافِحَ ذاكر أولًا مرورًا



بمعاذ وآسر حتى وصلت لكارما التي احتضنتها بتودُّد زائد عن الحد بصفتها أخت العريس وحماتها المستقبلية بالطبع، لمحَ آسر بطاقة سعر تتدلى من حجابها، يبدو أنها نسيت أن تنتزعها بعد الشراء، غادرت الحجرة مرة أخرى وهي تتحرك بصعوبة نظرًا لضيق التنورة التي ترتديها بمقاس أصغر لتبدو نحيفة، اقترب طفل من آدم يدقق النظر مندهشًا من تباين لوني عينيه، لكن يبدو أن الأخير قد اعتاد على تلك النظرات المندهشة منذ زمن فلم يعد يبالي، دقائق ثم عادت الفتاة وقد زاد حملها لصينية الكاسات الملونة من صعوبة حركتها أكثر، وما إن اقتربت من الجالسين حتى تعثرت في أحد الأطفال لتسقط وتتطاير معها الصينية و... طراااااااااك

تتحطم الكاسات وينفجر السائل الأحمر في كل مكان، تنهض وبكل هدوء تضع الصينية الفارغة على المنضدة وتغادر وكأن شيئًا لم يحدث.

أنهت الأم تنظيف الفوضى التي أحدثتها ابنتها مفسرة إنه مجرد:

كسوف بنات..

لتجيبها كارما:

حصل خير.

كتم آسر ضحكاته بينما شرع ذاكر في التهام طبق الحلوي الثالث غير مبالٍ بنظرات ابنته المعاتبة، في حين انفرد معاذ بالفتاة في إحدى الغرف الجانبية منغمسًا في نقاش فاتر بينما في قرارة نفسه قد أقرّ الرفض، هو فقط حضر إرضاءً لأخته، وما شجّعه أيضًا هو تجاهل فيروز لرسائله في الفترة الأخيرة..

أشار آسر لآدم ليقترب منه، أمسك بلعبته وتقدَّم عدة خطوات همس آسر بصوت خفيض عدة كلمات أنهاها بكلمة أمه:

شيكولولو.

دنا الطفل أكثر، فطبع على وجنته قُبلة ليضحك ويسارع في مسحها بيده ويبتعد معاودًا اللعب بلعبته،



ليتجمّع حوله الأطفال الذين انشغلوا بسيارته عن أمر تباين لون عينيه، شرع الأب في السؤال عن وظيفة معاذ ومكان شقته وأسئلة تقليدية أخرى، أجابته كارما بهدوء ثم بادلته الأسئلة بأخرى عن العروس، وفي خضم النقاش المتبادل بين الجميع لم يلحظ أحد ما جرى..

دخل الأطفال الجالسين مع آدم في شجارٍ حول من لديه الحق في الإمساك بريموت العربة أولًا، فلم تجد إحدى السيدات سوى إغرائهم بالحلوى فضًا للاشتباك، أحضرت علبة تحوي قطع الشيكولاتة لينفض جميع الأطفال من حول آدم مسرعين لتناول الحلوى قبل نفادها، تاركين آدم جالسًا وحده يتابعهم، أشارت السيدة لآدم لينضم إليهم، وبخجل ترك اللعبة وجهاز التحكم على الأرض وقام مترددًا، مدت إليه يدها بآخر قطعة استطاعت انتزاعها من يد الوحوش الصغيرة، تناولها وشرع ينزع غطاءها بينما عيناه تراقبان سيارته التي بدأت تتحرك ببطء، فغر فاهه وهو يراقبها وهي تدور حول نفسها مندهشًا، ينقل بصرة بين



السيارة وجهاز التحكم الملقى أرضًا في سكون، ماذا يحدث! ثم بدأت السيارة في التحرك تجاه باب المنزل المفتوح، ترك آدم حلواه ثم تبع سيارته..

آدم فين؟!

صاحت بها الأم التي اكتشفت أمر اختفاء الابن لتنهض فزعة تبحث عنه في أرجاء الشقة، بينما أصاب الجميع حالة من الصمت، خرج معاذ من غرفته على أثر صرخة أخته ليبحث معها، عبرت كارما باب الشقة لتجد السيارة ملقاة رأسًا على عقب ولا وجود لآدم، أخرج معاذ هاتفه واتصل بالنجدة.

أنهى المحقق استجوابه بسؤال كارما التي استعادت القليل من وعيها:

شاكه في حد؟

زاغت عيناها لثوانٍ وهي تحاول استعادة طاقتها على الكلام إلى أن هزت رأسها نافية في يأسٍ ثم أطرقت باكية، تجمعن حولها بعض سيدات العمارة يواسينها،



واكتفت أخريات بضم أبنائهن إلى صدورهن ناطقات بعبارات الحوقلة والاستغفار.

توجَّه المحقق إلى المسئول الجنائي بعد أن انتهى من رفع جميع البصمات المتاحة بالمكان، تأكد منه إن كان قد رفع البصمات عن لعبة الطفل وتحديدًا جهاز التحكم، ثم أنهى رجال الشرطة عملهم وانصرفوا..

وفي سيارة آسر أثناء عودتهم لم تتوقف كارما عن ترديد جملة وحيدة:

مش هدخل البيت من غير آدم.

استقرت كارما بشكل مؤقت بمنزل صديقة الطفولة ظلت ما يقرب من ثلاث ليالٍ دون أن تنطق بكلمة واحدة، ممسكة بهاتفها في انتظار مكالمة من المحقق يخبرها بعودة الروح إلى جسدها مرة أخرى، أطياف من الماضي تتجسد أمامها لثوانٍ وتختفي، فترى يومَ مولد آدم وأخيه رأي العين، فتهتز شفتاها كاشفة عن شبح ابتسامة سُرعان ما تحجبه الدموع.



تتوالى عليها المكالمات فتتجاهلها جميعهن؛ فليس من بينهم اسم المحقق على شاشة الهاتف، جميع المكالمات بلا استثناء حتى الواردة من آسر ذاته، حين يتعلق الأمر بالأبناء تتجرد الأنثى من جميع ملابسها ويتبقى فقط لحم أمومتها.

سَمِعَتْ صوت طرق باب غرفتها، عدلت من جلستها وأحكمت ربطة الحجاب قبل أن يُفتح وتدخل هدى صديقة الطفولة، تحمل صينية من الشطائر وكوبَ شاي، وكالعادة تهز كارما رأسها رافضة، وضعت الصينية على الكومود بجانب السرير وتنهدت مستغفرة، ربتت على كتفها وهي تقول:

لحد إمتى؟!

لم تتلقَّ ردًا كالمعتاد، اتجهت نحو شاشة التلفاز المثبت بحائط الغرفة ثم أدارته، تنقّلت بين القنوات حتى وجدت إحداها تعرض مسرحية (سُك على بناتك) ابتسمت وعادت لتجلس بجوارها وهي تهمس:



فاكرة المسرحية دي كانت بتفطسنا من الضحك ازاي؟ كنت باجي أتفرج عليها معاكي على الفيديو بتاعك وكان معاذ يتخانق معانا عشان عايز يتفرج على الكارتون.

لا تأتيها استجابة فتقلب كفيها وتغادر الحجرة في صمتٍ..

في صباح اليوم التالي

ممددةٌ على الفراش تحملق للسقف في سكون تسمع صوت طرق، تتجاهله حتى تدخل صديقتها هدى لتقترب من أذنها هامسة:

جايلك ضيف.

تشيح بيدها رافضة، فتقوم هدى بفتح النافذة فيكشف شعاع الشمس وجهها المجعد الذي أرهقه السهر وعينان حمراوان منتفختان من أثرِ البكاء وشعر ثائر مُهمَلٍ.

بعد ربع ساعة استقبل آسر كارما في الصالة وهي تتقدَّم في كسل ولا مبالاة، كانت المصافحة باردة بلا روح، جلست أمامه صامتة في انتظار سماع ما جاء به، حاول الابتسام لكن هيئتها بعثت الشفقة بقلبه، ولأول مرة شعر برغبة عارمة في احتضانها ومشاركتها البكاء، اقترب منها، ظل واقفًا بجوارها ثم ربت على كتفها وهو يهمس:



أنا جنبك.

رفعت رأسها لتنظر إلى عينيه قبل أن يخلخل شعرها الهار بأسفل حجابها بأصابعه ويضم رأسها إليه، لتغمض عينيها وتبلل قميصه بالدموع..

تقتحم هدى مجلسهما ممسكة بهاتف كارما:

مكالمة من القسم.

دخلت كارما مندفعة لحجرة الضابط المسئول عن قضية آدم ولحق بها آسر:

لقيتوا آدم؟

ترك الضابط التقرير الذي كان منهمكًا في قراءته ونهض:

قبضنا النهارده على تنظيم متخصص في خطف الأطفال وإن شاء الله يكون ابنك واحد من اللي لقيناهم معاهم، تعالوا معايا.



تقدمهم وهو يضيف:

نتيجة المعمل الجنائي بتقول إن كل البصمات الظاهرة على لعبة الولد كلها تخص أطفال، يعني مفيش شُبهة جنائية.

تبعاه حتى وصل إلى أحد المكاتب المزدحم بالأطفال ذوي عيون جاحظة وشفاه مرتعشة، جالت كارما بعينيها بين وجوه باكية وأخرى نائمة، ثم هزت رأسها في يأسٍ واستدارت مغادرةً القسم.

لحق بها آسر ليحتضِنَ كتفها بذراعه، حتى وصلا لسيارته، فتح لها الباب، ألقت بجسدها على المقعد وهي تخفي وجهها الباكي.

أمسك بالمقود بيسراه بينما احتضنت يمناه يدها، أدار موسيقى هادئة، حاول طمأنتها ببعض الكلمات خرجت من حلقة مخنوقة لم تقنعه هو شخصيًا، ظلّت تراقب الطريق في صمتٍ حتى فوجئت بأنهما أمام منزل العباسية، التفتت إليه:



أنا مش هدخل البيت غير وآدم في إيدي.

هز رأسه نافيًا:

العمارة من غيرك مضلمة، وبصراحة مش قادر أبعد.

أنا بجد مش...

قاطعها وهو يضغط براحته على كتفها:

ليلة واحدة بس، وبعدين ارجعي لصاحبتك.

ابتلعت اعتراضها في استسلامٍ وهمّت لتغادر السيارة لولا أن استوقفها رباط حذائها المنحل، انحنت لتربطه ثم فجأة...

تصلب جسدها دون حركة لثوانٍ قبل أن تعتدل وتلتفت محدقة لوجه آسر في رعب، الأمر الذي أصابه بارتباك ودهشة ليسألها بصوتٍ مرتجفٍ:

مالك؟

التقطت صورة من الأرض لتبرزها أمام عينيه:

صورة آدم بتعمل إيه هنا؟!

تجلس على الأريكة تحتضن كوب النسكافيه الساخن وتراقب أبخرته المتصاعدة، ترى في كل بخار مشهد مختلف، يعلو واحدًا فتستعيد موقف آسر مع آدم في حجرة الأخير وارتباكه أثناء مغادرته وسقوط السلسلة، يتبخر ذلك المشهد ليتجسد لها مشهد آخر لآسر وهو يهديه اللعبة التي كانت وبالًا عليه، مرورًا بهمسه في أذنه بكلمات لم تتبينها جيدًا انتهاءً بعثورها على صورة ابنها أسفل مقعد السيارة ولم تنسَ بالطبع يوم أن أخفى عنها سفره للمنصورة، هنا ألقت بكوب المشروب الساخن على المنضدة أمامها لينفجر السائل الداكن في جميع الاتجاهات.

يجلس على منضدة الطعام يداعب شرائط الشعيرية سريعة التحضير على أمل أن تفتح شهيته المعدومة منذ عدة أيام للأكل، لكن دون جدوى بينما يُعرض على شاشة التلفاز أمامه فيلم عربي قديم لا تَمُتّ أحداثه



للواقع بصلة، يتنامى إلى سمعه صوت طَرقات على الباب، يمسك بريموت الكنترول ويضغط على زر صامت، ينهض متثاقلًا ليفتح الباب فيجد كارما، رغم توقعه أصيب بصدمة فور رؤيتها، نظرتها مختلفة، زمُّ شفتيها مع نظرة عينيها صنعا مزيجًا مخيفًا، بصوتٍ متردِّدٍ دعاها للدخول، دون تردد دخلت لتزيح الباب بيدها فينغلق على فوره، سألها عن حالها هزت رأسها بما يعني (لا أعلم) دعاها للجلوس فلم تَستجِب، سألته باقتضاب متنمر:

إنت مين؟!

هزَّ رأسه في اندهاش لتردف وتُغلِقَ أمام وجهه جميع أبواب الهروب:

ظهرت في حياتي فجأة، علقتني بيك لحد ما حبيتك، تصرفاتك مع آدم كانت غريبة بس أنا مصدقتهاش أو يمكن ماكنتش عايزة أصدقها، سرقت من أوضته صورة بدون مبرر، قولتلي إنك مارُحتش المنصورة من

فترة كبيرة واكتشفت كدبك، كنت آخر واحد كلمته، فقول باختصار ومن الآخر..

إنت مين؟

ظهر عليه الارتباك، استدار ملوحًا بيده في غضب مصطنع:

إيه اللي بتقو...

بتر عبارته فور أن رآها ممسكةً بشوكة الطعام ثم هجمت عليه بكل ما أوتيت من قوة وهي تصرخ:

آدم فين؟!

أصابه المشهد بعجزٍ تامٍ عن التصرف ليتلقى الطعنة في راحة يده ويبدأ جرحه في النزيف بينما يهتز باب الشقة بطرق عنيف.

ينتهي المسعف من تضميد جرح آسر وينهي المحقق استجوابه قائلًا:



السيدة كارما بتتهمك اتهام رسمي بإنك خاطف ابنها أو على الأقل ساعدت في خطفه، الأمر اللي هيضطرنا آسفين للقبض عليك على ذمة القضية.

يتبادل آسر نظرة أخيرة مع كارما قبل أن يصطحبه أحد العساكر معه في سيارة الشرطة.

ساد الظلام بغرفتها وهي ممددةٌ فوق سريرها تحاول جاهدة النوم ولو لساعةٍ واحدةٍ، بأعين دامية وبشرة أحرقها الدمع تنظر لصورة آدم المعلَّقَةِ على الحائط، يبادلها النظر بابتسامة حزينة، تُطيلُ التحديقَ علَّه ينطق ويخبرها بحاله، فلا يحدث، فتبدأ شفتاها بالارتعاش وينكمش وجهها ليعصر عينيها دمعًا وتهمس:

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يارب العالمين أنت رب المستضعفين وأنت أرحم الراحمين وأنت ربي ، إلى من تكلني..

تبتر دعاءها فجأة..



تلتقط أذناها صوت نشيجًا مكتومًا، ترهف السمع فتدرك أنه قادم من ركن الغرفة، تعتدل وتتلفت حولها يمنة ويسرة تبصر في ظلام الغرفة الدامس، وميضًا متقطعًا وعينين تنظران إليها، تطلق شهقة فزع تكتمها بكفها الأيمن الذي اعتصر وجهها فزعًا، تستجمع قواها وتدلي قدميها وتنهض لتقترب من هذا الوجه لترى (نوح)، يجلس متكورًا بجانب الدولاب محتضنًا ركبتيه بذراعيه المتشابكتين، منكمشًا كالجنين لا يظهر منه سوى عينين حمراوين وجبين متعرق، يهتز وكأنه يجلس على أرضٍ مرتعشةٍ، وتلك الومضات التي تُشبِه ضوءَ الشمس تتتابع على وجهه مما زاد الوضع رعبًا، توقف الاهتزاز فجأة وكذلك الومضات، وحلت ابتسامة على وجهه واختفى الفزع عنه تدريجيًا، ابتعدت ببطء دون أن ترفع عينيها الجاحظتين عنه، تحسّست بيدها حائط الغرفة حتى وصلت لأحد الأزرار لتضغطه بكل قوتها فيغمر الضوء الغرفة ويصرخ نوح في فزع.. ويختفي..



اليوم التالي الساعة الخامسة مساءً

رن جرس المنزل لتنهض من فراشها ركضًا، ما إن فتحت الباب حتى أصابتها إغماءة جرَّاء ما رأته، ليدخل الضابط لنجدتها ومن خلفه يقف آدم متصلبًا.

نعود بالأحداث ليوم الخميس الثالث عشر من نوفمبر..

على بُعد 820 كيلو مترا..

تحديدًا في مدينة سيوة..

كانت للشمس في ذلك النهار الكلمة الأولى والأخيرة، ساطعة حارقة، أجبرت كل ما هو حي على الاختفاء هربًا في سطوتها، عكست ضوءها على الرمال الصفراء لتحيلها إلى ذهبٍ منثورٍ مستوٍ، لم يفسده سوى إطارات دراجة بخارية ارتفع صوت محركها الزاعق وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة، يمتطي الدراجة رجلان، الأول قائدها، شاب يبدو من زيه الأبيض الرحراح وبشرته الداكنة أنه أحد النوبيين البسطاء، أما الثاني



الذي جلس خلفه رجل كبير ارتدى قميصًا أبيض وبنطالًا رماديًا، وقبعةً بيضاء فوق شعرِه المتصل بذقنه الرفيعة ممسكًا بكفه الأيمن كتف الفتي النوبي احترازًا من السقوط، بينما احتضن بيسراه شنطة رياضية سوداء، توقف الفتى النوبي بدراجته ثم همهم ببضع كلمات، أدرك الرجل أن الرحلة تنتهي هنا تحديدًا، نظر للقلعة التي تبعد عن مكان وقوفهما بخمسمائة مترًا تحديدًا..

أشار للفتى أن يقترب أكثر، لكنه هزَّ رأسه رفضًا، فهم أنه لا يملك الاقتراب أكثر من ذلك، نقدَه ورقة مالية وترجَّلَ من فوق الدراجة، ليستدير بها الفتى وينطلق عائدًا، فتشق عجلاته الأرض شقًا، تابعه الرجل بعينه حتى ابتعد مثيرًا من خلفِه عاصفةً رملية زادت من وضع الطقس سوءًا، تمنّى الرجل لو ناداه ليعودَ ويصحبه مرة أخرى، تاركًا ذلك المكان الموحش، مُعرِضًا عن غايته التي جاء من أجلها، لكن كان الدراجة أسرع من أمنيته، ارتكن لإحدى الصخور الضخمة مستظلًا بها من لهيب الشمس، أخرج من حقيبته



زجاجة مياه كانت مثلجة منذ أثنتي عشرة ساعة وقت انطلاق رحلته، تجرع بعض الماء ثم سكب ما تبقى منه فوق قبعته ليبللها وينال رطابة ولو قصيرة الأجل لرأسه الفائر، أخرج منديلًا ورقيًا ومسح به قطرات العرق التي تسللت لحدقتي عينيه المحترقتين، أعاد الزجاجة الفارغة لحقيبته وهمَّ واقفًا لمواصلة المسيرة حتى القلعة المنشودة، اسودَّ أسفل عينيه من أثر الإنهاك الذي ظهرَ عليه وهو يحاول انتزاع قدميه المغروزة من الرمال المتراكمة.

وصلَ أخيرًا لسلم القلعة، ليظهر له رجلٌ يرتدي جلبابًا مزركشًا، دار بينهما حديثًا قصيرًا قبل أن يُشيرَ له الأخير بأن يتبعه، صعد الرجل خلفه يتبعه لاهثًا وهو يرفع رأسه نحو القلعة الضخمة التي بُنيَت أواخر القرن الثاني عشر بمادة تسمى (الكرشيف) وهو أقرب للطوب اللبِن لكنه أشد صلابة، تلك القلعة التي بناها أربعون رجلًا لحماية المدينة من الأعداء وهجمات البربر وبدو الصحراء الذين كانوا يغيرون على المدينة



في مواسم الحصاد للحصول على كفايتهم من الأغلال والتمور وما تجود بها أرضها الخصبة من الخيرات.

ثم أطلقوا عليها قلعة (شالي) وهي تعني «المدينة المحصَّنَة» باللهجة السيوية..

اجتازا رواقًا طويلًا حتى وصلا لباب خشبي ضخم يقف عليه أحدهم، ما إن رأى الرجل ذا الجلباب المزركش حتى أفسح له الطريق ليدفع الأخير الباب فيفتح على مصراعيه وتظهر قاعة ضخمة تحوي عدة مقاعد صخرية راسخة عن اليمين والشمال، نقشت عليها رسومات غير واضحة المعالم، تتخللها حروف عربية، يوجد طاولة صخرية مستديرة تتوسط صدر القاعة، تتدلى فوقها ثريا ضخمة من سقفها المرتفع، تلتوى رقبتك عن آخرها دون أن تصل إليه بنظرك، تتراقص النيران المتقدة فوق المشاعل المثبته أرضًا على طول سجادة حمراء تمتد من باب القاعة لثلاثمائة مترًا كاملين حتى مقعد ضخم يشبه عرش ملوك الأساطير يحوي نقوشًا أكثر بروزًا بينما يحوي ثلاث درجات مرتفعة ترتقيها أولًا حتى تستطيع الجلوس

عليه، أشار صاحب الجلباب المزركش لتابعه بالتوقف أمامه ثم انصرف لأحد الأروقة الجانبية، بينما وقف الزائر يسترق السمع للصوت المتسلل من اللامكان، صوت يشبه ذكر أو ترانيم أو تراتيل، فكَّرَ لثوان ولم يجِدْ له مسمًى مناسبًا.

بعد قليلٍ أدرك أنه لا ينتمي لكل ما سبق، هو صوتٌ ارتجاليٌّ أقرب إلى الدندنة، لكنه دندنة مدروسة بمقاييس محددة ومعروفة لا يحيد عنها مترنميها.

أهزوجة عربية نادرة تشعر بألفتها حين تسمعها، ارتفع الصوت لثوانٍ ثم انخفض مرة أخرى نتيجة لفتح أحد الأبواب وغلقه، ثم صدر صوت دقات خشبية تشبه ما يصدر قبل فتح ستار المسرح، أوحت للرجل وكأنه مقبل على مشهد عرضه الأخير قبل موته، ظهر عدد من الرجال يرتدون ما يُسمى بالجلّابات المغربية، سوداء تتدلى من ناحية الرؤوس حتى أخمص الأقدام يحمل أحدهم مبخرة فضية ويتقدمهم كمن يعطر الطريق لمن خلفه، هنا دب القلق في قلب الزائر، ازدرد ريقه توترًا وهو يتابع الموكب المتقدم تجاهه، الذي



ظهر من خلفه رجل يسير بتؤدة، اشرأب الزائر بعنقه وخلع عن رأسه قبعته كمن يقدم فروض الولاء، توقف الموكب عن السير بينما استمر الرجل الذي تذيل الموكب في التقدم لتظهر ملامحه جلية للزائر، رجل يرتدي جلّابه مغربية لكنها حمراء تلك المرة ويظهر من أسفلها قميص أبيض مطرز يُسمى بالمغربية «الجابادور»، يخفي وجهه بالكامل تحت وشاح أبيض رقراق، استمر في تقدُّمه حتى وصل للعرش الصخري، ارتقى درجاته الثلاث، استدار قبل أن يجلس مسندًا بذراعيه على جانبيه، انحصر كم ردائه عن ذراعه لتظهر ساعة مذهبة ضخمة ووشم واضح على الذراع الآخر، ثوانٍ من الصمت المطبق وكأن الحياة توقفت، وعقارب الساعة أعلنت الحداد، شعر الزائر، بل تأكد أن الرجل يرمقه بثباتٍ، تخيل عينيه الثاقبتين تسبر أغوار روحه ذاتها، لا مجال للكذب، لا مجال للخداع، مرت ثوانٍ قبل أن ينطق وليته ما فعل..

هات ما عندك..



ارتجف الزائر حينما سمع صوته النحاسي وكأنه خرج من آلة قاسية باردة، هو قرأ عن الصورة ثلاثية الأبعاد من قبل، لكنه ولأوّل مرة يسمع صوت ثلاثي الأبعاد، له كيان وتواجد، صوت يشغل حيزًا من الفراغ، أجاب بحروف مرتعشة وبلغة عربية فصحي كما يحتم عليه ناموس المكان:

وجدت أحدهم يا تليدي..

أتم جملته وشعر بأن وجهه أضاء من خلف وشاحه الأبيض، توقف صوت الأهزوجة فجأة، حتى أدخنة البخور تجمدت في الهواء، مد اليد الموشومة إليه قائلًا:

دعني أرى.

انتفض الزائر ليفتح حقيبته ويخرج منها ظرفًا، فتحه ليلتقط منه بضع شعيراتٍ ثم ناوله إياهم، حين اقتربت أنامله من أصابعه شعر ببرودة لوهلة فناوله



الشعيرات وسحب يده بسرعة، التقطها التليدي ثم رفعها أمام وجهه الافتراضي و....

اختفى

حينما اختفى التليدي ظل الشيخ عبد الناصر متصلبًا في مكانه، وصل به الفزع حد اللافعل..

لا دهشة..

لا تعجب..

لا نطق..

سمع كثيرًا عن أساطير التليدي، صدّق بعضها واتهم الشيوخ الذي تعلم على يديهم بالمبالغة والتهويل أحيانًا، درس معهم تاريخ هذا الرجل، المتاح منه فقط، يقال إن وضع تحت «يقال إن» تلك مائة خط، فلا شيءَ حول هذا الرجل مؤكّدٌ، لا شيء موثق، الأغلب أنها مجرد تكهنات، اسمه أبو الحسن يحيى التليدي المغربي، من أمازيغ المغرب، هؤلاء الأمازيغ موطنهم

الأصلي شمال أفريقيا، في غرب مصر وحتى جزر الكناري وكذلك في جنوب البحر المتوسط وحتى النيجر ومالي، هكذا محيطهم شمالًا وجنوبًا، شرقًا وغربًا، أصل كلمة أمازيغي هي إمازيغن، وتعني الإنسان الحر، قَدِمَ من المغرب ليقيم مملكته هنا في مصر في سيوة تحديدًا، حيث يعيش أمازيغ مصر، نظرًا لما يتعرض له أمازيغ المغرب من اضطهاد، متى حضر تحديدًا لا أحد يعلم، كيف أقام ملكه في تلك القلعه المهجورة، لا توجد معلومات أو حتى مجرد تكهنات حول ذلك الأمر، التليدي له تلاميذ ورجال في جميع أنحاء العالم، له طرق وصولات في عالم السحر وتحضير الجان واكتشاف الكنوز في باطن الأرض، لم يرَ وجهه أحدٌ أبدًا، وحول ذلك نسجت الساطير، يقال إنه كان المقصود فيما ذكره أبن الوردي في كتاب (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) أنه في عهد الأمويين حين وليموسي بن نصير امرة بلاد أفريقيا سنة تسع وسبعين وأنهى فتح بلاد المغرب، اتجه لشمال أفريقيا في طريقه إلى الأندلس، وبعد سير سبعة أيام في الرمال ظهرت له مدينة عظيمة



متحصنة بأبواب حديدية، حاول رجاله فتحها لكن غلبهم تراكم الرمال حولها، فأمرهم بتسلق سورها العظيم، فكان كل من صعد ونظر إلى الداخل، صاح ورمى نفسه ولم يدرِ حينها ماذا أصابه ولا ما يراه، مما اضطرَّ موسى بن نصير لترك تلك المدينة والمضي، أضافت أساطير أخرى أن التليدي كان أحد سكان تلك المدينة التي يسكن قلعتها الآن، وأنه كان يكفي لأن ينظر أحدهم إلى وجهه ليسقط صريعًا لشيء لا يعرف كنهه أحد(1).

التليدي الآن له مواقع وعدة حسابات على الإنترنت يُراسله عليها جميع الشيوخ وعلماء العالم عن طريق البريد الإلكتروني لطرح المشكلات وعرض الحلول، لا يقوم بالرد عليها بذاته، بل رجاله المنتشرون حوله، دأبه الأكبر لاكتشاف الكنوز واستخراجها من باطن الأرض ولا أحد يعلم إلى أين يصرفها أو مكان تخزينها إلا هو، لذلك نرى عبد الناصر حين أرسل إليه بريدًا إلكترونيًا يطلب مقابلته شخصيًا وبعد عدة أسئلة واختبارات للتأكد من جدية طلبه سمح له أعوانه



بالحضور في الميعاد المحدد، هكذا نجده يقف أمام عرشه الخاوي يسترجع كل ما سبق، فكر في تلك اللحظة فقط في التراجع، لذلك همَّ بالانصراف وما إن استدار ليغادر حتى سمع صوته مرة أخرى يأمره:

أحضره لي.



صباح اليوم

على طريق سيوة وتحديدًا الكيلو 113 يجلس رائد الشرطة المسئول عن الكمين المتحرك في البوكس يداعب بأنامله جهاز الراديو علّه يلتقط ولو موجةً من عالم الأموات تهوّن عليه الشمس الحارقة رغم كونهم في منتصف فصل الشتاء، فلا يجد استجابة، تصدر رنة من جهازة اللاسلكي وصوت أحدهم:

سيارة نصف نقل بيضاء تحمل أرقام... تجاوزت السرعة المقررة يا فندم، أرجو إجراء اللازم.

يقرب الجهاز من فمه ثم يضغط زرًا أحمرَ:

عُلِم.

يلقي باللاسلكي على المقعد المجاور له ويترجّل من البوكس صائحًا في أحد الجنود الرابضة بجانب عدة أقماع حمراء.

وقّف العربية اللي جاية دي يا ابني.



تمام يا افندم.

يشير الجندي للسيارة سابقة المواصفات لتقف لكن بدلًا من أن يبطئ سائقها السرعة يدهس دواسة الوقود بكل ما أوتي من قوة بأمر من الرجل الجالس جانبه، تضرب مقدمة السيارة الأقماع الحمراء لتحدث حالة من الارتباك فيصيح الظابط بصوت جهوري:

- شد..

يظهر جندي آخر على بعد 40 متر لينحني ويحكم قبضته على يد حديدية يجذبها بعنف فتنبت منها بروز مدببة تنغرس في الإطارات ما إن تمر فوقها السيارة وتبدأ في الترنح قبل أن تحيد عن الطريق وتغرز في الرمال وتتوقف.

تحيط الجنود بالسيارة حتى وصل قائدهم، يبادر السائق بالاعتذار معلًا حدوث عطب بالمكابح لم يمكنه من التوقف، يصيح به:

الرُّخَص.



يعبث السائق بعدة أدراج بحثًا عن الأوراق المطلوبة بينما تظهر علامات الارتباك على الرجل الآخر الجالس بجانبه فيطالبه الضابط بإبراز تحقيق الشخصية بينما يأمر جنديين آخرَيْنِ بتفتيشِ كابينة العربة الخلفية، يحاول الجندي فتح بابها ليجدها موصدة بقفل حديدي، يطالب السائق بالمفتاح فيتلعثم:

المفتاح ضايع.

مما زاد من ارتياب الرائد الذي انتزع سلاح أحد الجنود ثم هويَ على موضع القفل لينشطر نصفين ويفتح الباب بعنفٍ وتصدر صرخة فزع من داخل الكابينة التي غمرها ضوء النهار كاشفًا عن طفلٍ منكمشٍ في أحد أركانها يحتضن قدميه بذراعيه المتشابكين كالجنين لا يظهر منه سوى عينين وجبين متعرِّقٍ، وبسؤاله عن اسمه أجاب بخوفٍ:

آدم..



أنهى الضابط سرد الأحداث أمام أعين كارما ومعاذ الجاحظتين ليعقب الأخير:

وإيه مصلحة عبد الناصر في خطف آدم؟

باستجواب عبد الناصر وبعد تضييق الخناق عليه، اعترف بالضلوع في خطف آدم وإرساله للمدعو التليدي لأنه طفل ذو مميزات خاصة على حد قوله، وأنه يتمتع بكونه طفلًا (زَهريًا).

قطبت كارما ما بين حاجبيها وهي تعتصر ابنها أكثر:

زهري؟! يعني إيه زهري؟!

من واقع التحقيقات مع المدعو عبدالناصر..

س/ وما هو المقابل الذي ستحصل عليه بتسليمك الطفل للمدعو التليدي؟

ج/ مليون دولار..

س/ ألا ترى أن المقابل مبالغ فيه؟!



ج/ بالطبع لا، فالمقابل أمام ما يملكه هذا الطفل يعتبر لا شيء..

س/ كيف؟!

ج/ آدم طفل زهريّ..

س/ ما معنى زهري؟

ج/ كلمة زهريّ مشتقة من (الزهر) أو النرد الذي يعتمد على الحظ، أو كما قال الرسول (إن فيكم مُغَرّبين) وحينما سأل عن معنى مغرَّبين أجاب (الذين يشترك فيهم الجن).

قطب المحقق جبينه فاستطرد عبد الناصر في الشرح وتبين أن الأمر كله بدأ مع زيارة كارما وآسر لبيت الشيخ عبد الناصر لعرض مشكلة آدم، يومها فقط قرأ في الطفل ما أذهله، وهو من يكون، الشيخ عبد الناصر الذي خاض دربًا طويلًا في طرق العلاج بالقرآن والرقية الشرعية ثم حاد عن الطريق وقت أن أبهرَت عينيه أضواءُ الشهرة والبركات، فظلّ يجمع بكل ما



أوتي من قوة جميع ما كُتب أو قيل عن طرق السحر والروحانيات، الآمن منها والخطِر، المُباح منها والمُحرَّم، ذلك العلم الذي حذَّر منه الأنبياء والمرسلون من قبل، سعي خلف كل من سمع عن انتمائه لهذا المجال، قدَّمَ كل ما هو غالٍ ونفيسٍ إرضاءً لشبقه، قرأ عن التليدي ذلك الداهية المغربي، قِبلة كل من سلك ذلك الدرب، فلم يجد قربانًا أمثل من طفل زهري كهذا ليتقرب إليه وينتفع بعلمه وماله الوفير خاصة بعد أن صده مرات عديدة ولم يُتح له ولو مجرد رؤيته، يُقال عن الزهري إنه إنسانٌ اشترك فيه الجن والإنس، فأصبح في برزخ يستطيع أن يتعامل مع الجن لشفافية روحه وبالطبع مع الإنس لأنه في عالمهم، وبذلك فهو وسيط جيد بين العالمين، وهو ما يبحث عنه الكثير من المُنقِّبين عن الكنوز واللاهثين خلفها، فالزهري هو فقط من يملك لغة الحوار والتخاطب مع الجن حراس تلك الكنوز، قرأ عبد الناصر يوم أن رأى آدم علامات الزهري، كخط باطن الكف المستقيم وخطوط اللسان المتعامدة ولون عينيه المتباينين، دبّر وخطَّط حتى عرف عن طريق



ابنه شهاب أمر خطوبة معاذ فذهب وتحيَّن لحظة انشغال الجميع عن الطفل وانقض عليه.

انتهى عبد الناصر من أقواله أمام المحقق فاغر الفاه، ليسأله في شكٍّ:

س/ هل لديك أقوال أخرى؟

ج/ لا..

أقفل المحضر في ساعته وتاريخه، وقررنا نحن إحالة المتهم للكشف على قواه العقلية وموافاتنا بالتقرير، وأصدرنا أمرًا بالقبض على المدعو التليدي وكل أعوانه فورًا والإفراج الفوري عن المتهم الآخر



عبر أثير أجهزة اللاسلكي

القوات جاهزة للاقتحام يا افندم.. في انتظار الأوامر.

بعد ثوانٍ من الصمت:

اقتحم.

في أسرابٍ متباينة الاتجاهات اقتحمت القوات قلعة (شالي) المحصَّنة من عدة أركان ليجدوا قاعة مهجورة سوى من بعض الزواحف والحشرات وأكوام التراب ليتبادل الجميع نظرات الدهشة والحيرة فيما بينهم، تراخت الأسلحة وخلع الرجال أقنعة الحماية السوداء عن وجوههم لتزكم أنوفهم روائح عطنة، فتتلوى الأنوف وتنكمش الجِباه، يرفع قائدهم جهاز اللاسلكي إلى فمه:

الموقع خالي تمامًا يا افندم.

فيأتيه الرد:

هربوا؟!

يتردد الرجل قبل أن يجيب:

المكان مهجور من فترة كبيرة يا افندم يلتفت حوله قبل أن يستطرد ما أعتقدش إن كان فيها حد أساسًا عشان يهرب.

بعد شهر

طن الحاسوب إعلانًا بقدومِ رسالة من فيروز

هو أنا ممكن أقابلك؟!

ما إن قرأ الرسالة حتى سارعت أصابعه تُسابق الزمن ليكتب:

طبعًا..

ثم استدرك وتابع النقر على الحروف:

بس إزاي وإمتى؟



قريب جدًا هقولك.

ثم انطفأت الدائرة الخضراء لتعلن عن نهاية المحادثة وبداية حيرته، لماذا تفعل ما تفعله!، وهل تلك الكلمات القليلة تكفي لغفران فترة غياب طويلة سابقة كالتي عاشها!، ضرب بقبضة يده المكتب ليهتز الحاسوب بأكمله، انخرط في لوم ذاته على تسرُّعِه، كيف يجيبها بتلك اللهفة دون حتى سؤالها عن سبب الاختفاء!، كيف سمح لكرامته أن تُهدَر بتلك الطريقة أمام نفسه وأمامها!، لماذا تُعامِلُه بتلك الثقة، لعن ذاته آلاف المرات، ولعن عشقه لها، لكن قلبه أبي أن يلغيها وكأنه تحالف معها ضده..

ليستمر في خذلانه.

تلقي نظرةً على اللاصقة الشفافة الموصولة بين الباب وحلقه فتجدها كما هي، تطرق برفق فما من مجيب، تتصل به فتجد من تُخبِرُها أن (الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا، عاود المحاولة في وقتٍ لاحق)



اختفاؤه لما يقرب الشهر يعصر قلبها قلقًا وينهشه ندمًا، تنخرط في بكاءٍ أسودَ لم ينقطع عنها يومًا.

الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا



في المستشفى

لم يصدق آسر الرسالة التي وصلته على بريده الإلكتروني هذا الصباح، أعادَ قراءتها عدة مرات، لكنها كانت واضحةً ومباشرةً لا مجال فيها للالتباس، فتح أحد المجلدات على حاسوبه، اعترضته رسالة تطلب منه كلمة السر أدخل خمسة عشر حرفًا وخمسة أرقام قبل أن يسمح له الجهاز بالولوج، قرأ عدة تقارير (يحفظها عن ظهر قلب من قبل) ضغط على أحد ملفات الفيديو لتبدأ عرض مقطع مصور، تظهر فيه غرفة عمليات، ثلاثة أطباء ويظهر هو واقفًا بجانبهم يتحركون بسرعة وتتابع حول جسد ممدَّدٍ لامرأة ساكنةٍ بفعل قناع الأكسجين المثبَّتِ فوق فمها والذي يبث المخدر إلى رئتيها، يبدأ أحدهم في الإمساك بمحقن غليظ، يدبه بين فخذيها، ثم يقوم آخر بعد ذلك بإدخال أنبوبة مرنة في نفس المكان وتحريكه بينما تتابع أعينهم شاشة تنقل لهم رؤية تلك الأنبوبه داخل الرحم، ثم..



هنا وفي تلك اللحظة يدخل ماجد فيضغط آسر أحد الأزرار فيختفي المشهد، يلتقط ماجد أحد التقارير الطبية يقرأ بعينيه وهو يسأله:

وبعدين؟!

هز رأسه بما يعني (لا أعرف)

هترجع شقة العباسية إمتى؟

بلا تردُّد يجيبه:

هسيبها.

يرفع ماجد نظره عن التقرير ويسأله:

وكارما!

ألقى نظرة على ندبة الجرح بكفه قبل أن يقول:

كفاية لحد كده.



ألقى ماجد بالتقرير على أحد المكاتب وهمَّ بالتعقيب قبل أن يتراجع ويزفر قائلًا:

أنا همشي.

وانا هوصل للشقة ألِمّ حاجتي وأقفلها.

حزم حقائبه، أطفأ أنوار الشقة، فتح الباب ليغادر، ليجدها تقف أمامه، تبادلا حديثًا طويلًا بينهما بلا كلماتٍ، فقط بالأعين..

هل انتهى الأمر عند هذا الحد؟!

ماذا ترين؟!

لا أرى سوى أنني أحبك.

رفع يده أمام وجهها فلم تتمالك نفسها لتَخُرَّ فاقدةَ الوعي ما إن رأت أثر طعنتها بكفه..

أفاقت لتجد أباها جالسًا بجانبها ممسكًا بيدِها وآدم منهمر البكاء حتى بلَّلَ قميصه، ابتسم ما إن رآها



تستعيد وعيها ثم ارتمى على صدرها لتعتصره بذراعيها بينما يجلس آسر بعيدًا على أحد الآرائك مسندًا رأسه على كفيه.

نهض ليدنو من فراشها موجهًا كلامه لأبيها:

أستاذ ذاكر محتاج أتكلم مع حضرتك على انفراد.

نهض مشيرًا بيده:

اتفضل يا ابني.

تبعه آسر حتى جلسا بحجرة الضيوف ليباغته آسر:

يشرفني أطلب إيد كارما منك.



بعد شهر..

في أحد المطاعم العائمة، تجلس كارما مع آسر إلى إحدى الطاولات يتناولان الغداء، بينما يلهو آدم من خلفهما متنقلًا بين الطاولات يطارد اللا شيء يراقب آسر كارما وهي تلوك الطعام في رِقة، ثم رشفة ماء، وما إن وضعت الكأس حتى هزت رأسها تستفسر عن سر نظرته المطولة إليها ليتردد قليلًا قبل أن يقول:

كل إنسان له ماضي، بحسناته وذنوبه، وطالما فاضل تقريبا شهرين على جوازنا فلازم....

تضع أناملها على شفتيه لتقاطعه:

مايهمنيش أعرف، يهمني اللحظة اللي أبقى فيها معاك وبس.

بس من حقك إنك تعرفي...

أنا الحاجة الوحيدة اللي من حقي أعرفها وعرفتها واتأكدت منها خلاص، هي إنك بتحبني.



ابتسمت قبل أن تتم كلماتها:

وبس..

بنصف ابتسامة هز رأسه ثم أمسك بالشوكة والسكين وشرع يأكل..

صباح اليوم التالي

أمسكت بهاتفها تتصفح حسابها الأزرق وبينما ترتشف من قدح الشاي باليد الأخرى، توقفت عند منشورٍ خاصٍ بإحدى صفحات الموضة لأحدث الموديلات من فساتين الزواج، هذا أبيض مطرَّزٌ بفصوص مذهبة لكنه يكشف أكثرَ مما يستر فكرت أنه لا بُدَّ وأن يرفضه آسر، أشاحت بوجهها وسحبت بإبهامها الصور لتتابع، هذا أجمل ومحتشم لكنه أكثر ضخامة من المعتاد ولا بُدَّ أنه سيعيقها أثناء الحركة، أما هذا فيبدو مناسبًا لكنه يشبه لحد كبير فستان زفافها الأول، هنا أطرقت للحظة صمت، تذكرت أمرًا أصابها بحيرة، شعرت ببعض الإحراج، لا تدري ماذا تفعل، ترددت كثيرًا قبل أن تسأله، فكرت في الاتصال به، لكنها تراجعت في آخر لحظة، في النهاية قررت التواصل معه عبر الرسائل درءًا للحرج، وبالفعل وضعت قدح الشاي جنبًا ثم أمسكت بالهاتف بكلتا يديها ثم شرعت تنقر بإبهاميها على الحروف وكتبت بكلمات إنجليزية تُخفي من خلفها خجلها:



لديَّ تساؤل، هو مجرد تساؤل وأيًّا كان جوابك سأنفذ فورًا.

ثواني وأتاها الرد وبالإنجليزية أيضًا:

تفضلي..

هل تمانع في الاحتفاظ بفستاني القديم؟

ثواني من الصمت قبل أن تظهر علامة الكتابة:

بالطبع لا، كما تشائين.

ابتهجت وأرسلت قلبًا أحمرَ ثم كتبت:

سؤال أخير..

ها؟

هل حالة آدم ممكن تسببلك أي حرج من نوع ما في يوم من الأيام؟

أكيد لأ طبعا، وهو ذنبه إيه؟ دي مشكلة ممكن يكون سببها عملية التلقيح.

قطبت جبينها:

بس أنا ما جِبتش سيرة عن موضوع العملية ده قبل كده.

ثواني من الانتظار..

لأ ازاي حكتيلي قبل كده.

سرحت لبرهة قبل أن تُرسل له كلمة (بحبك) مصحوبة بقلب أحمر وتنهي المحادثة ثم تنهض لتفتح دولابها، تحديدًا الضلفة الأخيرة، حيث تحوي ركن الذكريات، أخرجت فستانها المكسو بغطاء أسود يحفظه من الأتربة، سحبت السوستة للأسفل حتى ظهر بياضه اللامع نظرت إليه ثم اعتراها حنين داهم، انزلقت دمعة حتى بللت شفتيها المبتسمتين، ضمت الفستان إليها ثم دعت لزوجها بالرحمة، ثم أعادته لجرابه مرة أخرى، علقته على المشجب وهمت بإغلاق باب الدولاب لولا

أن سقطت علبة سوداء فوق قدميها، تألمت للحظة ثم انحنت تمسك بتلك العلبة المنسية منذ سنوات، فتحتها لتطالع ذكريات قديمة مصورة، صور تحكي قصص حب صادقة ولحظات مرت عليها كالنسيم، واحدة وهي تجلس بجوار زوجها خجلة وهو يهمس في أذنها بكلمة ما، أخرى وهما يفترشان خُضرة إحدى الحدائق بينما يلهو آدم ونوح من خلفهما، تذكرت ذلك اليوم تحديدًا بتفاصيله، كانت تلك الخروجة بمثابة عربون اعتذار عن تقصيره تجاهها فترة انشغل فيها بأمور تتعلق بعمله، رفضت عرضه بالخروج مرارًا توفيرًا للنفقات متعللة بأن مزاجها السيء سيفسد الأمر، لكنه أصرَّ ووعدها أن يخرجها من تلك الحالة، ونجح بالفعل، لم تكن النزهة مكلفة ماديًا حينها، لكنها كانت غالية بمشاعره الصادقة البريئة، غفرت له ما تقدَّمَ من تقصيره وقرأت في عينيه امتنانًا لذلك، طالعت ملابسها البسيطة وربطة رأسها الملفوفة البسيطة التي تكشف رقبتها البيضاء، تذكرت كم نهاها عن ذلك وكثيرًا ما امتثلت، لكنها وفي ذلك اليوم استغلت تلك الفرصة لتفعل ولو لمرة واحدة ما تشاء.



انزلقت عيناها أسفل رقبتها لتشاهد سلسلة قديمة كانت ترتديها، لكنها ولظروف ما تاهت منذ زمن وسط متعلقاتها حتى اختفت تمامًا، هذه السلسلة التي كانت بحوزة آسر يوم أن زار آدم في غرفته وسقطت منه، تلك السلسلة التي أعادتها إليه فيما بعد حينما زارته بشقته فجرًا، قربت الصورة أكثر لتتأكد مما تراه..

إنها بالفعل نفس السلسلة

الآن تذكَّرتها

فماذا يعني هذا؟!

هل الأمر لا يتعدى كونه مجرد صدفة؟ أم...؟

أمسكت بهاتفها واتصلت به لكن أجابتها رسالة مسجلة (الرقم الذي طلبته غير متاح الآن يرجى...)

عاودت الاتصال عدة مرات أخرى دون جدوى، وبعد عدة دقائق كانت تقف على رصيف الشارع تشير لإحدى سيارات الأجرة.





المعادي لو سمحت..

فتحت باب السيارة قبل حتى أن تتوقف أمام المبنى الشاهق بالمعادي، ألقت بورقة نقدية فئة المائة جنيه للسائق ولم تنتظر الباقي، ولم يبدِ ثَمة اعتراض، هرولت مسرعة تعبر نهر الطريق لتدخل المبنى، قابلها أحد رجال الأمن فاستعادت ذكرى..

توجهت للحارس سألته عن عيادة آسر، بدا على وجهه علامات التفكير قبل أن يخبرها أنه لم يكمل سوى أسبوعين منذ قدومه للعمل بهذا البرج وأنه لم يألف جميع الأسماء بعد.

اقتربت منه وسألته عن إن كان آسر متواجدًا في عيادته أم لا؟، سألها عن تخصصه لوحت بيدها واتجهت للمصعد، وما إن وصلت للطابق المنشود غادرته لتقف تنقل بصرها بين اللافتات المعلّقة في حيرة وهي تستعيد تفاصيل زيارتها الأولى مرة أخرى.



تقدم الجد اولًا ليصافحه ثم تبعه آدم ممسكًا بيد أمه التي ألقت نظرة سريعة على مطرقة الباب المعلقة على هيئة ملاك نحاسي بجناحين ومن فوقها يافطة كتبت بخط اليد (د. آسر عبد الرحمن).

تحسست التمثال النحاسي وهي تتمتم (مؤكد ذلك هو الباب)، لا لَبس في الأمر، إذًا لماذا مكتوب على اليافطة عيادة الدكتور منتصر قدري!!؟

دفعت الباب فانفتح وظهرت سيدة تجلس على مكتب لتنهض تستقبلها بابتسامة:

اتفضلي يا افندم.

سألتها:

دكتور آسر موجود؟

باستغراب أجابتها:



قصد حضرتك دكتور منتصر، لأ هو الحقيقي دكتور منتصر هيبقى موجود من الساعة 6 مساءً، ممكن حضرتك لو...

لم تسمع المزيد، شعرت بدوار يقلب كيانها رأسًا على عقب قبل أن...

تسقط فاقدة الوعي

لو أمكن تكشف عليه في عيادتك ونا هدفع واللّه، بس كل اللي عايزاه إهتمام منك لحالته

باغته طلبها ليسقط كأس العصير أرضًا ويتهشم منفجرًا..

طيب ممكن أجيبه العيادة إمتى؟

بعد برهة من التفكير:

يوم الجمعة كويس؟

معقولة في عيادات الجمعة؟



كده أفضل علشان أتفرغله تمامًا.

أجلسه فوق فوتيه أمام شاشة تلفاز ضخمة وأمسك بالريموت يضغط بعشوائية وارتباك في محاولة لتشغيل الجهاز وكأنه لم يستخدمه من قبل.

وهو ذنبه إيه؟ دي مشكله ممكن يكون سببها عملية التلقيح

قطبت جبينها..

بس أنا ما جِبتش سيرة عن موضوع العملية ده قبل كده..

يرفع ماجد عينيه عن جهاز الميكروسكوب، يخلع عن يديه القفازين البيضاوين، يلقي بهما في سلة النفايات الطبية، يفرك عينيه المرهقتين يتلفلت حوله ليجد آسر منهمكًا في كتابة شيء ما، اقترب منه مبتسمًا:

إيه يا عم! من ساعة ما جيت الصبح وانت بتكتب في تقرير واحد؟! هي الحالة صعبة أوي كده؟



لم يلتفت إليه وكأن على رأسه الطير، لا يتحرك منه سوى يده اليمنى التي تمارس الكتابة بينما عقله غائبًا في عالم آخر، استرق ماجد النظر لما يكتبه قبل أن تختفي ابتسامته تدريجيًّا وتتحول لشحوب تام قبل أن يسأله بصوتٍ مرتعشٍ:

تفتكر هاتسامحك؟

مطَّ آسر شفتيه في حيرة قبل أن يجيبه:

مش ده اللي انت كنت ياما بتطالبني أعمله!

وايه اللي جَد المرة دي؟

وصلني إيميل بإعدام الملف بتاع آدم وآسر..

ربت ماجد على كتفه:

المرة اللي فاتت الطعنة جت في إيدك خلّي بالك من نفسك.



أنا هسلمها الورق ده وهاختفي ومش هتشوف وشي تاني لأني ما أستاهلش حد زي كارما.

طوى أوراقه ووضعها بظرف أبيض كبير، ثم ألقى بالقلم الأبيض المطبوع عليه جملة (مستشفى الحياة للولادة والتلقيح الصناعي).

تجر قدميها بصعوبة وهي ترتقي درجات السلم حتى وصلت لباب شقتها انحنت تلتقط أنفاسها لتجد مظروفًا حُشر أسفله، سحبته ولم تنتظر حتى تدخل، فضت محتواه لتجد عدة أوراق وسلسلتها، كالممسوس دبت المفتاح في ثقب الباب لتدخل مسرعة، تلقي بحقيبتها وتبدأ في قراءة الأوراق.

كارما (هكذا دون ألقاب)

فأنا أخجل أن أُلحق باسمكِ لقب على غرار «عزيزتي» أو «حبيبتي»

فأنا لا أستحقه، وأنت لا تستحقين كاذبًا مثلي..

نعم، كاذب أجاد خداعك تمامًا وعزائي الوحيد أنك تقرئين اعترافي الآن علّكِ تغفرين يومًا..

من أين أبدأ؟

لا أعرف تحديدًا لكن دعيني أكتب فقط، فلم يكن في مقدوري مواجهتك وقول هذا وجهًا لوجه، بدأ الأمر أعتقد يوم أن رأيت أمي تبكي كمدًا على فراق أخي الرضيع، لم يكن المشهد هينًا بالنسبة لي، المرأة التي زرعت فيّ القوة والجلَد تبكي أمامي بكل ذلٍ وهوانٍ، لم أكن أدري معنى كلمة (موت) قبل تلك اللحظة لكن أدركته ورأيته وسمعته في نحيب أمي، التي لا أدري أأترحم عليها أم ألعنها، وعدتها ذلك اليوم ببراءة طفل لا يملك سوى كلمات يواسي بها أمه المكلومة:

(ماتزعليش يا ماما، أنا لما أكبر هبقى دكتور مشهور وهعمل أطفال ما بيموتوش خالص)..

جملة تبدو ساذجة لكنها على قدر سذاجتها كانت ملهمةً تمامًا، كانت تلك الجملة هي جوابي التلقائي



والفوري على سؤال الكبار المعتاد:

تحب تبقى إيه لما تكبر؟

وقد كان ما أردت..

كانت دموع أمي هي المحرك الرئيسي لكل خطوة في حياتي منذ صغري مرورًا بالتحاقي بالمرحلة الثانوية ثم كلية الطب وتوسعي في قراءة الموسوعات الطبية الملائمة لسني ولتلك المرحلة تحديدًا، وصولًا لتحضير رسالة الدكتوراه في عِلم الجينوم، تعددت قراءاتي ومطالعة الكتب العلمية العربية منها والأجنبية، بخلاف مراسلاتي لأكبر الجامعات الأمريكية حتى وصل خبر شغفي لأحد أكبر أساتذة هذا المجال بجامعة هارفارد أو هكذا قيل لي، لم أكن أدري أن الأمر مدروسٌ تمامًا ولا مجالَ فيه للمصادفة، عرض عليَّ هذا الرجل وبعد أن قرأ رسالة الدكتوراه أن أسافر للالتحاق بمنحةٍ مجانيةٍ تتبع منظمة عالمية تسمي (HUGO) أو human genome organization



كان الهدف الأساسي لتلك المؤسسة هو حل شفرة الجينوم البشري..

لماذا يُخلَق الإنسان ذو بشرة بيضاء ولماذا سوداء؟ لماذا طويل ولماذا قصير؟ ولماذا يصاب بالسكري أو الضغط وهكذا؟

قيل عن مشروع الجينوم البشري هذا بأنه المقابل البيولوجي لإرسال إنسان إلى القمر، الجينوم البشري هو كتاب الحياة، ولقراءة ذلك الكتاب كفرضٍ جدليٍّ بسرعة حرفيٍّ في الثانية الواحدة لمدة أربع وعشرين ساعة فسيستغرق الأمر قرنًا كاملًا، بالطبع كانت الولايات المتحدة الأمريكية أول من يبدأ في نبش قبر الغموض حول علم كهذا، وهكذا وتحت إشراف خاص من وزارة الطاقة ومكتب تقييم التكنولوجيا التابع للكونجرس أنشأت تلك المنظمة أول مشروع جينوم بشريٍّ بحثي بدأ العمل به رسميًا عام 1990، تم إجراء تلك التجارب على الحيوانات في البداية حتى تقرر تطبيقها على البشر.



تمكن العلماء بواسطة تلك الطفرة الاكتشاف المبكر لاستعداد الشخص المعني للإصابة بالأمراض، وبالتالي تصحيح مسارات تلك الجينات لتجنب الإصابة بتلك الأمراض، بمعنى تطبيق المقصود حرفيًا من جملة (الوقاية خير من العلاج).

لكِ أن تتخيلي عالَمًا بلا سرطان، عالمًا بلا أورام وفيروسات أو قد يصل يومًا لعالم بلا موت، من يدري!

في المستقبل القريب سيتمكن الآباء من تصحيح أي مشكلات جينية بل وتعديل بعض التفاصيل المهمة في أبنائهم المحتملين، فقد نرى في يوم من الأيام قدرة أولئك المعالجين على رفع معدلات ذكاء الأطفال أو إضافة بعض بوصات إلى أطوالهم أو منحهم قدرات رياضية متفوقة أو شعر مجعد وعيون زرقاء وبشرة بلا تجاعيد، أو عالم بلا جريمة، فتصحيح جينات الإجرام المستقبلية في بعض الأشخاص يعدل مسار حياتهم بالكامل، الأمر يبدو دربًا من الجنون لكن كل الطفرات الكونية بدأت هكذا، ستقل نسبة الموت بالطبع عن الأول لكنها لن تنعدم، لأن ذلك العلاج



الجيني لن يكون متاحًا سوى لمن هم يحوي حسابهم البنكي سبع أرقام بأقل تقدير، نعود لتلك المنظمة والتي انتشرت بشكل غير مباشر حول العالم أجمع، دربت وجهزت وموّلَت العديد من الجهات التابعة لها، كانت من متطلبات تلك المنظمة إجراء تلك التجارب في الدول الأدنى حرصًا على حقوق الإنسان، وكذا وقع اختيارها على خمس دول على رأسهم مصر، الأقل تكلفة والآمن عاقبة في حال تفاقم الأمور وانكشاف أمرها، تم اختياري وثلاثة أطباء آخرين لإجراء تلك التجارب هنا في مصر، خلف ستار إحدى المستشفيات المتخصصة في عمليات الولادة والتلقيح، تم اختيار خمس سيدات بظروف وطبائع فسيولوجية متباينة، فقدن أربعة منهن أبنائهن وهم مازالوا في أحشائهن.. إلا واحدة..أنتِ..

لم يعش لك طفلٌ واحد فحسب بل اثنان، وهو الأمر الذي منحنا أملًا وحيرةً بالقدر ذاته، راسلنا المنظمة بكل التفاصيل لتطالبنا بضرورة متابعة الحالة أيًا كانت النتائج والتكاليف، لم يكن الأمر سهلًا لكن تم تنفيذه

بقدر الإمكان، بدون الخوض في تفاصيل، تم جمع كل التقارير الطبية الخاصة بآدم ونوح، كذلك تقارير مدرستهما منذ التحاقهما وحتى وفاة نوح، هنا طالبتنا المنظمة بالتدخل الفوري ومهما كلفنا الأمر، ولم يكن ليحدث ذلك دون التقرب إليكِ، لم يكن المصعد أول مكان جمعنا كما أخبرتك، بل في المستشفى حين كنتِ ممددةً فوق سرير العمليات وضوء مبهر مسلط على جسدك وسلسلة ذات لؤلؤة بيضاء ترقد بين نهديكِ، وجدتها ملقاةً أرضًا بعد رحيلك، التقطتها وقررت الاحتفاظ بها كل تلك السنون، أعترف وأقر أني المسئول عن الجحيم الذي عايشتِه وتورُّط طفلٍ لا ذنبَ له في مضايقات واضطهاد طوال عمرِه، ودنوه من الموت مرات عديدة، يعلَمُ الخالق كم حاولت عدة مرات تصحيح خطئي لكن دون جدوى، آخرها حين قررت الزواج بك لكني الآن أشعر بالندم على قراري هذا، فما اقترفته لن يغفره حتى الحب..

راسلتهم بالخارج أستشيرهم عن أي طريقة لإنقاذ آدم مما هو فيه لكن كانت المراسلات تعود بالرفض



المباشر حتى جاءت آخرها يوصي بالأمر المباشر بإعدام ملف آدم نهائيًا وضمه للملفات الفاشلة..أخيرًا..

عيادة المعادي لا تخصني واستعنت بها لإتمام دوري على أكمل وجه وذهابك إليها لن يفيد، وبالرغم من أن هذا اعتراف كامل بخط يدي وبإمكانك تقديمه لأي جهة تَرينها مناسبة إلا أنه لن يُجدي نفعًا فلن يصدقك أحد وربما ينقلب الأمر عليكِ وتوجَّه إليكِ اتهاماتٌ بالجنون..

(أحببتك حقًا)

ظلت لساعةٍ كاملةٍ تحدق للحائط، تحاول جاهدة استيعاب الصدمة، تفكر هل إذا كان هذا الإنسان طبيعيًا أم مجنونًا.. كيف يفعل ما فعله ويصفعها تلك الصفعة وينهي حديثه ب أحببتك حقًّا؟ لا تكاد تصدق أنه سبب شقائها وشقاء ابنها كل تلك السنين، حاولت الاطلاع على حسابه على الفيسبوك لكنه اختفى كصاحبه، كيف يقبَلُ مجرم كهذا التضحية بحياة آخر هكذا في سبيل تحقيق طموحه!!، كيف السبيل



للانتقام منه!!، قبضت بيدها على الأوراق حتى كادت أن تمزقها ثم ارتعشت شفتاها وعلا صوت اصطكاك أسنانها.

ستارباكس المعادي

وفي الميعاد المتفق عليه

تخيَّر معاذ طاولة مقابلة لباب المقهى، وفي شغفٍ شرع يراقب الواردين بحثًا عن فيروز، أخيرًا سيراها بعد طول فترة انقطاع طويلة، لم يكف عن قضم أظافره ولم تتوقف قدماه عن الاهتزاز لحظةً أمامه قدح نسكافيه بارد لم يمس، طلبه فقط ليخرس العاملين بالمقهى الذين أمطروه بالسؤال عما يرغب في تناوله، أخرج هاتفه وأرسل رسالة يستفسر عن سر التأخير، قاطعه صوت:

مساء الخير..

رفع رأسه ليجد فتاة تقف أمامه في توتر، أجاب بهدوءٍ:

مساء النور، أؤمري.

معاذ صح؟!

قطب ما بين حاجبيه:

أيوه، مين حضرتك؟!

أنا فيروز..

فيروز مين؟

فيروز اللي كنت بكلمك على الشات، مش قُلتلك لو شُفتني مش هتعرفني؟!

انتصب واقفًا ودون أن يشعر، كال لها لكمه لتصدر عنها صرخة عالية أسكتت ضجيج المقهى كله لتجتمع نظرات الحاضرين جميعهم صوبهما.

أنهى الصيدلي تثبيت اللاصقة الطبية أسفل عينها اليسرى لتَشكُرَه فيروز وتخرج من الصيدلية لتجد معاذ في انتظارها عاقدًا كفيه مستندًا على إحدى السيارات الواقفة، اقتربت منه لتعتذر:

أنا آسفة..



استفدتي إيه إنتي من الاشتغالة دي؟ يعني كان إيه المبررإنك تتقمصي شخصية واحدة تانية؟

عاجلها صائحًا (ما تردي)

مش انت اللي بعتلي طلب صداقة؟!

همَّ بلكمها في العين الأخرى لولا أن تمالك نفسه وتذكَّرَ أنهما بالشارع.

تقومي تضحكي عليا وتشتغليني؟

تحمي وجهها بذراعها وهي تحاول كبت دموعها:

كده يا معاذ تضربني بالبونية؟ اتفضل وصلني للمترو.

وفي الطريق اعتذرت له للمرة الثانية عما بدر منها، أقرت بخطئها وصارحته بأنها قد جذبتها وسامته حين أرسل لها طلب الصداقة أول مرة وأنها كانت تحيا فترة فراغ عاطفي دفعتها لخوض تجربة كتلك..

حدق اليها طويلًا قبل أن يسألها:

إنتي هبلة؟!

مالك يا كارما بتفكري في إيه؟!

انتزعها سؤال والدها من شرودها لتكتشف قدح القهوة المثلج بيدها، وضعته على المنضدة وهي تسأل:

معاك رقم الحاج فخري صاحب الشقة اللي جنبنا يا بابا؟

حكَّ رأسه الصلعاء ثم توجه لأحد الأرفف ليلتقط مفكرة صغيرة، نفخ ما عليها من أتربة قلب صفحاتها حتى عثر على الرقم المنشود، ناولها المفكرة ثم انصرف لحال سبيله، التقطت الهاتف وضغطت عدة أزرار وانتظرت لبرهة قبل أن تنطق:

حاج فخري إزي حضرتك أنا كارما بنت الحاج ذاكر.

بعد عبارات الترحيب المتبادل سألته عن بيانات المؤجِّر لشقته، تركها لدقائق قبل أن يعود ويخبرها بالتفاصيل التي سارعت في تدوينها:



اسمه يا ستي آسر عبدالرحمن مصطفي الشناوي وساكن في...

لو سمحت كنت بسأل عن عمارة 13 ش عبد العزيز دهشان ألاقيها فين؟!

ضيق سائق الدراجة النارية ما بين حاجبيه يفكر ثم أشار للجهة المقابلة من الشارع:

ده رقم 13 يا افندم.

التفتت إليها لتجد البناية لشركة توريدات كبيرة عبرت الشارع وسألت بالاستقبال عن آسر عبد الرحمن مصطفى الشناوي ليجيبها الموظف:

مفيش حد بالإسم ده.



الساعة السابعة صباحًا

كمبوند بمنطقة التجمع الخامس

فيللا رقم 50

غرفة النوم الرئيسية

سكونٌ تام لا يقطعه سوى تكتكة بندول ساعة ضخمة معلقة على الحائط المقابل لسرير فاخر من الطراز الكلاسيكي تصل أعمدته المرتفعة لما قبل سقف الغرفة بسنتيمترات قليلة وتتدلى منها ستائر شفافة ترى من خلالها ذلك الجسد الأنثوي الممدد الساكن سوى من صدرٍ دقيقٍ يعلو ويهبط، يهتز الهاتف مصدرًا نغمة المنبه في الموعد المحدد سابقًا، تنسل يدٌ رقيقه من أسفل الفراش الحريري تتحسس موضع الهاتف لتصيب الهدف وتنجح في إخراسه، تتثاءب فتاة عشرينية برِقَّةٍ قبل أن تفتح عينيها وتصيح:

بودي، إصحي علشان الباص قرَّب يجي.



لا يأتيها رد فتنهض في تثاقل وهي تمسك برأسها قبل أن تدلي قدميها وتدسهما في نعلٍ من الفرو وتبدأ في الزحف نحو باب الغرفة قبل أن تتسمر في مكانها وهي تُحدِّقُ إلى الجسد الممدد فوق الأريكة لرجل غارق في النوم بكامل زيه منتعلًا حذاءه، دنت منه في تؤدة وبأصابعها الرفيعة هزت كتفه:

نورا نورا حمد الله على السلامة، رجعت من السفر إمتى؟

بنصف عين يهمس نور أو من كان يومًا يُنادى ب (آسر)

يااه كنت قرَّبت أنسي اسمي..

تعاونه على النهوض..

طب قوم نام على السرير ولما تصحى نكمل كلامنا.

يجر قدميه حتى ألقى بجسده المنهك فوق الفراش، شرعت تخلع عنه الحذاء.



السفرية طولت المرة دي، مش هسألك على التفاصيل علشان عارفة.. مش هوصل لإجابة.

أردفت بانفعالٍ:

بس عايزة أقولك إني خلاص جبت آخري المرة دي.

صدرت عنه أنة وهمَّ أن ينطق لولا أن عاجلته..

عارفة اللي هيتقال، ظروف شغلي وطبيعته من ساعة ما اتجوزتيني وماحدش ضربني على إيدي ولو مش عاجبني الوضع ممكن كل واحد يروح لحاله.. كده كفاية أوي..

انفجرت صارخة:

زهقت ومليت من الإهمال واللامبالاة بحجة شغلك وسفرك الكتير، وعارفة إن كلامي كله في الهوا ومش هوصل لنتيجة لإنك إنسان أناني فاقد للمسئولية، تختفي وقت ما تحب وتظهر وقت ما تحب، هتعيش وتموت ما بتفكرش غير في شغلك ونجاحك على



حساب أي شيء وكل شيء، فاكر إن مهمتك كراجل توفير المال والعربية والفيلا اللي بتوه فيها كل يوم.

ألقت بحذائه ثم زفرت لتعود لهدوئها مرة أخرى:

أنا عايزة أتطلق والمرة دي مش هرجع عن قراري، هقوم أصحّي الولد علشان معاد الباص بتاعه وياريت أول حاجة تعملها لما تصحى إنك تطلقني.

رفع يده المنهكة وضم أصابعة الأربعة قبل أن يبرز إبهامه في وجهها علامة الموافقة.

حزمت حقائبها، جمعت جواهرها، الأيفون، الآيباد، تحققت من وجود بطاقات الإئتمان جميعها بحقيبة اليد ودست فيها توكيلات البيع للسيارة البورش وفيلا الرحاب، ثبتت نظارتها الشمسية وأثناء توجهها لباب الفيلا حضرت مديرة المنزل الروسية (ناتاشا) التي تتحدث اللغة العربية بطلاقة، ألقت الزوجة في وجهها ظرف أبيض مغلق يحوي رزمة أوراق نقدية.

ده حساب الشهر.

وبنبرة ذات مغزى:

وزايد الأوفر تايم للمجهود الرهيب اللي بتبذليه مع البيه.

ارتبكت الفتاة لثوانٍ قبل أن تستطرد:

أنا عارفة يا حبيبتي كل حاجة، عمومًا اشبعي بيه، ده آخره.

ثم انصرفت دون أن تغلق الباب من خلفها، فتحت الفتاة المظروف والتقطت الأوراق النقدية ثم دستهم في شنطة يدها، ارتقت السلم حتى وصلت لغرفة النوم، طرقت بابها قبل أن تولج في خفه لتفاجأ به ممددًا على بطنه، أزاحت الستار ليغمر الضوء الغرفة، اقتربت منه ثم أراحت شفتيها على أذنه، قبَّلته قبل أن تهمس في غنجٍ:

I missed you

انتفض وبعيون منكمشة سألها:

Where is she?

بابتسامة إنتصار أجابت:

Just left

اقتربت لتلثم شفتيه فإذا به يدفعها لتسقط أرضًا وهي تتألم وهو يصرخ فيها:

Stop it..

حدجته بنظرة تشع شررًا ثم غادرت الفيلا غاضبة بقلب مجروح..



بعد عدة أشهر

جلست ناتاشا فوق الفراش تحتسي زجاجة بيرة وتدخن سيجارة، تنفث دخانها ليهيم حائرًا حتى يصطدم بسقف حجرتها المتواضعة، وهي واحدة من ثلاث حجرات بمنزل يتشارك في كلفة إيجاره ثلاثة أشخاص آخرين بمدينة بدر، تفكّر فيما حدث، لم تكن إهانته لها هي الأولى، حاولت تذكر عدد مرات الإساءات السابقة فلم تستطع حصرها، هو من تودّد إليها أول مرة، لكنّها صدته، لم تكن يومًا تخلط بين عملها ومرحها، كانت فكرة ارتباطها برب عملها شيئًا أقرب للمستحيل، لكن إصراره ومثابرته للوصول إلى هدفه منقطع النظير، حتى نجح أخيرًا واعتلاها.

رضت أن تكون مجرد حبيبته وسلوة حياته البائسة مع زوجه تعسة كزوجته تهوى البؤس، كما أفهمها أنهما على وشك الانفصال، وتمر الشهور والسنون تحملت فيهم تقلباته المزاجية وشهواته المريضة حتى حدث ما حدث..



انتبهت لسقوط رماد السيجارة على الفراش، فزفرت فيه لتزليه، ثم ألقت بسيجارتها في زجاجة البيرة الفارغة ثم وضعتها على الكومود.

نفضت عن رأسها أفكار شيطانية مرت مجسدة أمام عينيها، أمسكت بهاتفها في محاولة لإلهاء عقلها المنهك، ضغطت على أيقونة حسابها الأزرق، استجاب الهاتف ببطء، ظلت تدفع بإبهامها الشاشة لأعلى، تلتقط عيناها بعض الكلمات وتفوّت أخريات، تطالع صفحات الموضة وأحدث صيحاتها، تقرأ باهتمام آخر الأخبار ثم صفحة مصرية مختصة في فرص التوظيف المتاحة..

لم تجد ما يناسب مجالها فغادرت الصفحة لتجد أمامها صورة جعلت عينيها تغادر محجريهما، قرأت بعيون مرتاعة ما كتب تحت الصورة ثم تسللت ابتسامة ظفر إلى شفتيها..



التاسعة صباحًا

بحجرة المكتب

يجلس نور أمام حاسوبه يطالع تقريرًا طبيًا، وفي جوِّ الحجرة المظلم ينعكس ضوء الحاسوب على نظارته فيبدو كدجَّالٍ يحاوط بلورة سحرية تخبره بأسرار الكون، لم يشعر بالأقدام التي تتحرك خلفه لم يدرِ سوى بوخزة المحقن في رقبته لينتفض واقفًا ويستدير فيراها تقف أمامه عاقدة ذراعيها بابتسامة، أمسك بخنجر الأظرف ورفعه عاليًا في محاولة للدفاع عن نفسه قبل أن...

يسقط فاقد الوعي

كانت الصورة لنور بابتسامته المعهودة التي رأتها ناتاشا خبيثة لأول مرة، عندما نعشق نرى كل ما يتعلق بهم جميلًا وعندما نكره تُصيبنا حتى محاسنهم بالغثيان، ركضت عيناها تقطع الكلمات المكتوبة تحت الصورة، كتبت «رحيق الجنة» صاحبة المنشور.



«صاحب هذه الصورة إنسان قذر بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، ارتبط بأختي ووهمها بحبه واستدرجها حتى نهب منها ما يقرب من المائة ألف جنيه بخلاف أنه نال من شرفها بعد تخديرها بسيارته، ثم أرسل لها رسالة اعتذار حقيرة أنهاها ب أحببتك حقًا، لا نعرف عنه سوى معلومات توصلنا إليها من بطاقات مزورة تحمل اسم آسر عبد الرحمن مصطفى الشناوي ويسكن في....

من يدلنا على طريقه أو كيفية الوصول إليه له مكافأة عشرة آلاف جنيه (أرجو النشر على أوسع نطاق)

تخطت الإعجابات بالمنشور ما يقارب الأربعين ألفا والمشاركات وصلت لخمسة عشر ألفًا وتباينت التعليقات بين مصدِّقٍ ومكذِّبٍ ومتعاطف لكن ناتاشا لم تهتم بكل هذا، هي فقط ضغطت على اسم صاحبة المنشور وتواصلت معها لتصبح وجبة الانتقام جاهزةً للتقديم وتنتظر من يلتهمها.



أفاق نور متسارع الأنفاس وألم يحيط بكامل رأسه وفم مكمّم حاول نزع الشريط الأبيض عنه ليكشف أنه مقيد الأطراف على كرسي خشبي، لاحظ وجود كيس محلول متدلي بجانبه ومعلّق بالنجفة التي توسطت الحجرة، يخرج منها أنبوب أبيض متصل بإبرة غرست في ذراعه، حاول التحدث لكن خرجت كلماته مبهمة غير مفهومة وسمع صوت غناء يتخلله صوت أنثوي عن يمينه:

صباح الخير..

(بحلم معاك بسفينة وبموجة ترسينا)

التفت ليجد كارما تجلس على الأريكة تضع ساقًا فوق الأخرى بينما جلس آدم على الحاسوب يلعب سباق السيارات..

(الريح تعاند والقيك في عينيك وإيديك شطي وأماني)



نهضت لتقترب منه وهو يتابعها بعينيه وجبين متعرق، يحاول تحريك أطرافه الأربعة دون جدوى، انحنت قليلًا

إزيك يا آسر ولا أقولك يا نور؟!

(العالم كله بأسراره عايش ويايا)

رفعت رأسها تطالع أثاث الحجرة:

واضح انك عايش كويس وكويس جدًا كمان، قولي!

كنت فاكر إنك هتعرف تهرب مني فعلًا؟! إزاي اتصورت إنك تفسد عليّا حياتي وحياة ولادي الاتنين وتمشي بالسهولة دي؟! أنا عندي أسئلة كتير واستفسارات لكن الغل اللي جوايا مش مديني فرصة، مش سامح بتأجيل الانتقام أكتر من كده، شهور وانا بدوّر عليك وبحاول أوصلك، شهور ما بنامش إلا وبصحى على كابوس إني بقتلك وبخلص عليك.



ارتعش وبدأ جسده يصدر تشنجات وهو يبكي وينظر لعبوة المحلول المعلقة، ربتت على قدمه:

ماتخافش، مش هقتلك، أنا كنت هموت واقتلك فعلًا، لكن اكتشفت إن القتل مش هيشفي غليلي.

توجهت نحو حقيبتها وأخرجت أمبولًا ومحقنًا أفرغت فيه محتوياته ثم دسته في عبوة المحلول ليتسلل سائله مختلطًا بالمحلول هز رأسه في استفسار، ابتسمت:

هرمون الإستروجين(2).

بدت على وجهه أعتى علامات الهلع..

ماتقلقش، أنا سألت دكتور متخصص عن الجرعات، إدعي بس ربنا إنه يطلع بيفهم مش فاشل زيك لتروح مننا..

اتسعت عيناه رعبًا ودهشة لتجيبه:



مستغربني طبعًا، حقك، ما انت عمرك ما سمعت منّي غير كل خير، الحسنة الوحيدة في جريمتك دي إنك وبدون ما تقصد خليت روح آدم شفافة ومرتبطة بروح أخوه ومطمني عليه في جنته..

حاول إخراج الكلمات لكنه فشل مرة أخرى.

معلش أنا سديت بوقك علشان مش عايزة أسمع صوتك ده تاني فماتحاولش تصرخ عشان ماحدش هيسمعك، وعلى العموم أنا ضاعفت الجرعات علشان تنجز معانا أو تموت ونخلص من وساختك، أنا عرفت إن مراتك سابتك يعني ماحدش هايجي هنا قبل شهور وماتقلقش أنا هتطمن عليك كل فترة، أنا فتحتلك فتحة في الكرسي علشان لو حبيت تعمل حمام، وغالبا مش هتحتاج لحمّام علشان أكلك وشربك كله هايبقى محاليل وعلى العموم لو اتزنقت ابقى اعملها على روحك.

مالت رأسه قليلًا من الوهن، دارت الأرض من حوله وبدأت الأصوات في التداخل..

(العالم كله بأسراره عايش ويايا)

لمح ظِل شبح يتحرك خلفها من بعيد، شبح لطفل يشبه آدم يبتسم وينظر إليه، التفتت كارما لترى ما ينظر إليه فلم تجد أحدًا..

أسيبك بقى علشان انت بدأت تهلوس، يلا يا آدم.

أمسكت بيده وشرعا في المغادرة قبل أن تتوقف وتلتفت إليه مرة أخرى:

آه نسيت..

ثم أخرجت قلمًا من حقيبتها ودنت نحو رأسه لتكتب على اللاصقة البيضاء:

أحببتك حقًا..

تصلبت ترمقه في غضبٍ وهي تتساءل عن كنه الألم الذي يعتصر قلبها، هل هو حزنًا على مآل ابنها الأبدي أم حدادًا على أبواب قلبها التي أغلقتها للأبد..



لأي ألمٍ تعطي الأولوية!!

ثم غادرت وصدى كلمات الأغنية التي طالما أرعبته صغيرًا يزيده فزعًا فوق فزع ويصم أذنيه..

(عايش جوايا طول ما انت في الرحلة معايا آآآآآآآآآآآآآآآآآآآه

لي لي لي لي لا تيرا رااااااااااا لا لي لاتيرا را را ااااااااااااااا)

تمَّت..



صدرَ للكاتب

* ليتال/ رواية

* غفوة/ رواية

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/waelasheen

s://www.facebook.com/wael.lasheen.PAGE

waelmagdy@live.com

om/author/show/14344314.Wael_Lasheen

---

1) واقعة ذكرت بالفعل في كتاب (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) للعلّامة سراج الدين أبي حفص عمر ابن الوردي نسخة مطبعة مصطفى البابي ركلبي وأولاده (ذي القعدة 1341 هجريًا)

2) هرمون الأستروجين: هو مركب عضوي تنتجه المبايض الأنثوية وهو يستخدم مع مضادات الأنروجين في عمليات التحول الجنسي من ذكر لأنثى، حيث يعملان على كبح إنتاج هرمون التستوستيرون (الهرمون الذكري)